هدى الثقلين

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثالثة/ المجلد الثالث/ العدد (٥)

شهر محرم الحرام ١٤٤٨هـ - حزيران ٢٠٢٦م

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِّيعِيِّ

الأَمَانَةُ العَامَّةُ لِلْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تَعْنَى بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم) لِلْقُرْآنِ الكَرِيـــــم

تَصْدُرُ عَنْ دَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَــةِ

مُجَازَةٌ مِن وِزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِيّ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

التَّرْقِيمُ الدَّوْلِي: ISSN:3005-415x

العِنْوَان: العِرَاق – كَرْبَلَاء – دَار القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

رَقْمُ الإِيدَاعِ فِي دَارِ الكُتُبِ والوَثَائِقِ العِرَاقِيَّةِ ٢٧١٥ لِسَنَةِ ٢٠٢٤م

لِلمَعْلُومَاتِ والاتِّصَالِ: ٠٧٧٣٥٣٠٠٨٣٥

البَرِيدُ الإِلِكتْرُونِي: hudaalalthaqalein@gmail.com

تَسْتَقْبِلُ مَجَلَّةُ (هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ) البُحُوثَ الأَكَادِيمِيَّةَ الرَّصِينَةَ غَيرَ المَنْشُورَةِ، بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإِنْكِلِيزِيَّةِ.

بطاقة الفهرسة

BP130 .A82 2024 VOL. 1 NO. 0

العتبة الحسينيَّة المقدَّسة (كربلاء، العراق) دار القرآن الكريم.

هَــدِي الثقلين: مجلَّة علميَّة نصف سنويَّة محكَّمة تَعنى بتفسير النبي وأهل بيته (صلوات اللَّه عليهم) للقرآن الكريم/ تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة – كربلاء، العراق: العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م/ ١٤٤٨ للهجرة.

مجلَّد: ٢٤سم – نِصف سَنويَّة، السَّنةُ الثَّالِثَة، المُجَلَّد الثَّالِث، العَدَد (٥)، شَهَرُ مُحَرَّم الحَرَام ١٤٤٨هـ – حُزَيرَان ٢٠٢٦م.

(العتبة الحسينيَّة المقدَّسة؛ ١٣٥٧)، (دار القرآن الكريم).

يَتَضمَّن إرجاعات ببليوجرافية.

تصدر المجلَّة باللغتينِ العربيَّة والإنجليزيَّة.

١. القرآن– تفسير الشيعة الإِماميَّة– دوريات.

٢. القرآن تفاسير مأثورة (الشيعة الإِماميَّة)– دوريات. أ. العنوان.

تمَّت الفهرسة قبل النَّشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

تَنْوِيهٌ:

الأَفْكَارُ وَالآرَاءُ الوَارِدَةُ فِي أَبْحَاثِ هَذِهِ المَجَلَّةِ تُعَبِّرُ عَن وِجْهَةِ نَظَرِ كُتَّابِهَا، وَلَا تُعَبِّرُ بِالضَّرُورَةِ عَن وِجْهَةِ نَظَرِ العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ.

قصيدة تؤرخ فيها مجلة هدي الثقلين وهي مجلة علمية
نصف سنوية محكمة تعنى بتفسير النبي وأهل بيته
صلوات الله عليهم للقرآن الكريم، صدرت عن دار القرآن
الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

سفر جميل وربت مثل السنا ... عند الحسين في الطفوف صدرت
في طيها كل تفاسير الهنا ... وهي بقول الآل حقا هدرت
آراؤها مزبورة فيها الغنى ... سلسالها العلم ومنه انتشرت
ميدانها الآي ومنها قد دنا ... واستبقت باب الهدى إذ شمرت
من دار قرآن كريم نحونا ... بالخير والقول الجميل قد سرت
والليل ولى بل أصيب بالفنا ... أستاره قد مزقت وانثرت
يا حسنها كل إليها أذعنا ... حين إليها كل عين نظرت
ها قد أناخت ركبها الغالي هنا ... فازدهرت أبوابها بل أثمرت
فاليوم عند السبط إذا أقصى المنى ... أرخ: هدى الثقلين صدرت

علي الصفار الكربلائي

١٤٤٤هـ

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا
رحمة الله الشعراوي

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: ٨٨٤٣/٤٥٠ ب
Date: ٢٠٢٤/٩/١٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة هدى الثقلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم ذي الرقم ح٢٥١٤٩/٣٩ بتاريخ ٢٠٢٤/٤/٢٧ بشأن استحداث واعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وبعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابكم المرقم ح٤٧٧١٢/٣٩ في ٢٠٢٤/٨/٢٧، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى واعتباراً من المجلد الاول - العدد الاول - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بأسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط الاستحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

ا.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٤/ ٩ / ١٢

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٦٧٩٢/٤ في ٢٠٢٤/٩/٨/ للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
١٠/ أيلول

رئيس التحرير

أ. د. هاشم جعفر حسين الموسوي

اللغة العربيَّة – اللغة والنحو

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ العراق

مدير التحرير

أ. م. د. عمَّار حسن عبد الزهرة/ اللغة العربيَّة – لسانيات

وزارة التربية/ مديريَّة التَّربية في كربلاء/ العراق

مدقق النصوص العربية

د. عماد طالب موسى

مدقق النصوص الانكليزية

م.م إباء الدين حسام عباس

العلاقات والتنسيق والإعلام

الأستاذ علي فضيلة خضير الشمري

هيأة التحرير

م. د. الشيخ خير الدِّين علي الهادي

رئيس دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة/ العراق

اللغة العربيَّة – لسانيات

أ. د. حميد عبد جواد النَّجدي

رئيس جامعة أهل البيت عليهم السلام _ العراق.

أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

اللغة العربية _ دلالة

جامعة كربلاء/ كلية التربية/ العراق

أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

الفقة وأصوله

جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ العراق

أ. د. سامي ماضي إبراهيم الربيعي

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد علي الضايف

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
اللغة العربيَّة وآدابها _ أدب إسلامي
جامعة الكوفة – كليَّة التربيَّة الأساسيَّة/ العراق

أ. د. عبد الحميد مدكور
الأمين العام لمجمع اللغة العربيَّة في القاهرة
الفلسفة الإسلاميَّة/ جامعة القاهرة/ مصر

أ. د. عيسى علي عاكوب
عضو مجمع اللغة العربية/ دمشق- سوريا

أ. د. غازي مهدي جاسم الشمري
الفكر الإسلامي وتأريخ الحضارة العربية
جامعة وهران/ الجزائر

أ. د. محمد رضا ستود هنيا
علوم القران والحديث
كلية الإلهيات ومعارف أهل البيت عليهم السلام جامعة
أصفهان/ إيران

أ. م. د. محمَّد عبد الحسن كاطع
تاريخ الحضارة الإسلاميَّة
جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع العراق

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي
دلالة ونحو
الكليَّة التربويَّة المفتوحة في النجف الأشرف/ العراق

م. د. حيدر فاضل عباس العزاوي
اللغة العربيَّة_ لسانيات
وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء

التصميم والإخراج الفني

الحسن ميثم عزيز

قواعد النشر في المجلَّة:

تستقبل هديُ الثَّقلينِ البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحث أن يكون مكتوبًا على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا .

٢. أن يكون البحث منسجمًا مع المجال المعرفي الذي ترعاه المجلة وتوجهها في نشر الأبحاث التي تختصُّ بتفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم .

٣. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلَّةٍ، أو مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى، أو مستلًّا من كتابٍ أو رسالةٍ جامعيَّة، أو محمَّلًا على الشبكة العنكبوتيَّة.

٤. أن يكون البحث مبتكرًا في موضوعه، يُعالج قضايا تفسيريَّة مُهِمَّة تتلاءم مع المعطيات المعاصرة للحاجات المعرفيَّة.

٥. يقدَّم البحث مطبوعًا على ورق A4، وبنسخةٍ إلكترونيَّة على قرص مدمج(CD)، أو يُرسل على البريد الإلكتروني، على أن لا يتجاوز ما هو متعارف عليه علميًّا بحدود (٥٠٠٠ – ١٠٠٠٠) كلمة، وبخط Simplified Arabic مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل.

٦. أن يحتوي البحث على ملخَّص باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة، مع مقدِّمة ومباحث ونتائج، وفهرس مفصَّل بالمصادر.

٧. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث/ الباحثين، وعنوانه/ عناوينهم وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في مَتن البحث أو أي إشارة إلى ذلك .

٨. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة خاصَّة بها عن قائمة المراجع والمصادر العربيَّة، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلَّات.

٩. تُطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة ويُشار في أسفل الشكل إلى مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلميَّة إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرَّة الأولى، وعليه أن يشير إلى اسم أيَّة جهة علميَّة، أو غير علميَّة قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١١. تخضع البحوث المقدَّمة للنشر لتدقيق نسب الانتحال في ضوء أحد البرامج المعتمدة، والأنظمة المقرَّة من لدن وزارة التعليم العراقيَّة.

١٢. تحتفظ هيأة التحرير بحقِّ حجب نشر البحث الذي لا ينسجم مع سياسة المجلَّة في نشر تفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم حصرًا، أو ما لا يتوافق مع منهج البحث العلميّ أو الموضوعيّ، أو ما فيه مسٌّ لجوهر العقائد الإسلاميَّة ورموزها الفكريَّة والدينيَّة .

١٣. تعبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيَّة صرفة.

١٤. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيَّتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أُقبِلَت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليَّة الآتية:

أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.

ب- ثمَّ يُشعر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها بعد إخضاعها إلى تقييم سري من ذوي الاختصاص.

جـ- البحوث التي يرى المقوِّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة لكي يعملوا على التعديل في ضوئها، ثمَّ بعد ذلك تُرسل للنشر.

د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

١٥. ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلّة:

hudaalalthaqalein@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقرِّ المجلَّة على العنوان الآتي:

كربلاء المُقَدَّسة - العتبة الحسينيَّة المُقَدَّسة - دار القرآن الكريم

سِيَاسة النَّشر

تستقبل مجلَّة (هدي الثقلين) مشاركاتكم من الأبحاث الرصينة، والدِّراسات المبتكرة والبحوث العلميَّة الناتجة عن الندوات والمؤتمرات باللغتين العربيَّة والإنكليزيَّة؛ على وفق سياسة النشر الخاصَّة بها والمتمثِّلة بالآتي:

١- مجلَّة (هدي الثقلين) مجلَّة دورية مُحَكَّمَة نصف سنوية.

٢- المجلَّة مختصَّة بنشر الأبحاث المختصَّة بتفسير النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

٣- تحتفظ المجلَّة بحقوق النشر والطبع كافَّة، وآراء المؤلِّفين الواردة جميعًا في البحث أو المادة العلميَّة تعبِّر عن وجهة نظرهم، ولا تُعَدُّ المجلَّة مسؤولة عنها بالضرورة؛ استنادًا لمبدأ استقلاليَّة الرأي.

٤- المجلَّة غير ملزمة بردِّ أصول البحوث سواء نشرت أم لم تنشر، وفي حال سحب البحث من لدن الباحث فعليه الالتزام بردِّ تكاليف التحكيم وتكاليف برنامج الانتحال.

٥- أولويَّة نشر البحوث بحسب أسبقيَّة الحصول على قبول النشر، ويستثنى من ذلك البحوث ذات السبق العلميّ والمادَّة المبتكرة بعد ترشيح من هيأة التحرير.

٦- يشترط بالمادة العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة، أن لا تكون قد سبق نشرها في مجلَّة أو دوريَّة أو مؤتمر علميّ، بتعهد يقدِّمه الباحث، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة وتكاليف التحكيم وبرنامج الاستلال كافَّة.

٧- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه أو مادَّته العلميَّة إلى أيِّ جهةٍ أخرى لغرض النشر، حتَّى يصله رد المجلَّة بصلاحيَّة بحثه أو مادَّته العلميَّة للنشر من عدمه بمدَّة لا تتجاوز ثلاثين يومًا من تاريخ استلام المجلَّة للبحث أو المادَّة العلميَّة، وبخلافه تحتفظ المجلَّة بحقوقها القانونيَّة والماليَّة كافَّة.

٨- يتعيَّن على الباحث أن يلتزم بشروط النشر المتاح على موقع المجلَّة الإلكتروني الرسمي، ويتعهد بأنَّه قد اطَّلع عليها.

٩- يجب على الباحث مراعاة الأمانة العلميَّة في البحث العلميّ والدراسة الأكاديميَّة، وفي مقدِّمتها أخلاقيَّات البحث العلميِّ وبنود لجنة أخلاقيات النشر (Committee On Publication Ethics) مثال ذلك، توثيق المراجع والمصادر والنصوص القانونيَّة والعلميَّة، ومراعاة الموضوعيَّة والمنهجيَّة في الكتابة، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والإداريَّة والماليَّة الكاملة عن أيِّ انتهاك أو تجاوز لهذه الأخلاقيَّات طبقًا للقوانين والتعليمات الوطنيَّة أو الدَّوليَّة، ومنها قانون حماية المؤلِّف رقم (٣) لسنة ١٩٧١.

١٠- تخضع جميع البحوث العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة لتدقيق نسبة الانتحال (Plagiarism) ضمانًا لعدم نشر البحوث مسروقة النَّصِّ جزئيًّا أو كليًّا، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والماليَّة والإداريَّة الكاملة.

١١- تخضع المادَّة العلميَّة التي تنشرها المجلَّة للتحكيم الشفاف والمراجعة العلميَّة المتخصِّصة (Peer-reviewed process) فضلًا عن التدقيق اللغوي (للغة العربية واللغة الإنكليزية)، ويكون للمجلَّة صلاحيَّة الموافقة على النشر فيها من عدمه؛ استنادًا إلى الآراء الأوليَّة لهيأة تحرير المجلَّة أو آراء المحكِّمين المتخصِّصين.

١٢- يقدِّم الباحث مع البحث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها موجزًا بالسيرة العلميَّة للباحث (نبذة تعريفية) مع بريده الإلكتروني الرسمي الذي ينتهي بامتداد (edu.iq) بالنسبة للسادة الباحثين العراقيين أو البريد الشخصي للباحث مع رقم الهاتف.

١٣- يُمنح كلُّ باحثٍ نسخة ورقيَّة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا تتحمَّل المجلَّة أجور إرسال النسخة الورقيَّة للباحث.

١٤- تعمل المجلَّة على وفق آليَّة النشر المفتوح وسياسته (Open Access).

١٥- تلتزم المجلَّة بمنح الباحث قبول النشر حين استكمال جميع المتطلَّبات الخاصَّة بالنشر من قبيل استكمال ملاحظات المحكِّمين والتعهد وغير ذلك.

١٦- تستقبل المجلَّة البحوث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها بالطرق الإلكترونيَّة، ووسائل التواصل الخاصَّة برقم المجلَّة مثل الواتساب والتليكرام المتاحين على الموقع الرسمي للمجلَّة، أو يسلِّمها الباحث بصورةٍ شخصيَّة .

نشاط المجلَّة

عمل دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب اللَّه تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع العمل على دراسة تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وقد بدأت الدَّار بهذا العمل منذ سنين عدة، فكان نتاجها مشاريع كثيرة أهمُّها إنتاج موسوعة أهل البيت عليهم السلام القرآنيَّة، وقد بلغت ستِّين مجلَّدًا، وهي بمجملها وتفاصيلها لم يُسلَّط عليها الضوء ولم تعمل الأقلام فيها بحثًا، فكان النتاج بكرًا بالهيأة التي انتهت الدَّار إلى صياغتها، وحان الآن أن تُقَنَّن تلك الجهود بمساراتٍ علميَّة فتدخل تلك الثروة المعرفيَّة إلى المؤسسات الأكاديميَّة والمراكز العلميَّة؛ لتأخذ حيِّزها على وفق الوسائل المعترفِ بها أكاديميًّا والمسارات المتَّفق عليها منهجيًّا، ومن هنا شرعت الدار ببناء وسائل توازي الحاجات المعرفيَّة وتتَّفق مع المعطيات المعاصرة، ومن تلك الوسائل العمل على استحداث مجلَّة (هَدْي الثقلين) وتحكيمها بعد تهيئة المادَّة العلميَّة للباحثين، وصولًا إلى الوعي التَّامِّ بجهوزيَّة البناء المعرفي، للإنطلاق بأوَّل مشروعٍ بكرٍ في العالم الإسلامي، وهو مجلَّة علميَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام.

لماذا هَدْيُ الثَّقَلَينِ؟

هذا الاسم مستقى من حديث الثَّقلين الذي اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة على مَضمونه، وهو قول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْن: كتابَ اللَّهِ وعِتْرتي))، ومن هنا أُريد لهذه المجلَّة أن تكون مصداقًا عمليًّا لتطبيق وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله في التَّمسُّك بالقرآن الكريم والعترة الطَّاهرة، الذي يُنجي من الهلاك ويعصمُ من الضَّلال فكانت (هدي الثَّقلين) .

يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) في صدد بيان لفظة: (هَدَيَ) في اللغة أنَّ لها أَصْلَين: ((أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِـلْإِرْشَادِ، وَالْآخَرُ بَعْثَةُ لَطَفٍ، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ))، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ وما نريده من لفظة (هدي) في الاسم، هو معنى (التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ)، وقد قدَّم الرسول صلى الله عليه وآله الثقلين لإرشاد الأمَّة، وجعلهما العاصمين من الضَّلال: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي))، أمَّا المقصود بالثقلين في هذا الحديث فقد نصَّ اللغويون على بيان ذلك، ومنهم: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في تهذيبه قال:((فسَّر النبيّ صلى الله عليه وآله الثَّقَلين فجعلهما: كتاب اللَّه عز وجل وعترته عليهم السلام، وأصل الثَّقَل أنّ العَرَب تَقول لكلِّ شَيْء نَفِيس مَصُون: ثقل))، وبيَّن سبب تسميتهما بالثَّقلين الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) بما نقله في معاني الأخبار بقوله: ((لأنَّ التَّمسُّك بهما ثقيل)) وبيَّن أحمد ابن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) في غريبيه سببًا آخر بقوله: ((إِعْظَامًا لقدرهما وتفخيما لشأنهما))، وتابعه ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) في غريبه، والصَّنعاني (ت:٦٥٠ هـ) في تكملته، وابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسانه، ومرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) في تاجه، أمَّا سبب الإعظام والتفخيم لهما فيفسِّره جمال الدين الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ) في مجمعه بقوله: ((إذ يستصلح الدين بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين)) وهذا ما نريده من التسمية بـ (هدي الثَّقلين) أي متابعة إرشادهما وهديهما، ونقل الشريف الرَّضي (ت: ٤٠٦ هـ) في مجازاته تعليلًا آخر بقوله: ((إنَّما سُمِّيا بذلك؛ لأنَّهما العدَّتانِ اللتانِ يُعَوَّلُ في الدين عليها، ويقوم أمر العالم بهما)).

لماذا التَّخصُّص بتفسير النَّبيِّ وأهل البيت عليهم السلام؟

جاء التَّخصُّص من الملازمة بين القرآن والعترة التي أسَّسها الرسول صلى الله عليه وآله لحفظ الأمَّة من الضلال، وأبان لها طريق الهداية العاصم من الانحراف بوصيَّةٍ لا نستبعد

الإعجاز في حفظها ورعايتها على نسقٍ اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة بمختلف مشاربها على روايتها وصحَّتها؛ بل تواتر مضمونها وهي وصيَّة رسول اللَّه ﷺ بالتَّمسكِ بالثقلينِ وأنَّهما العاصمانِ من الضلال ولن يفترقا حتَّى يردا عليه الحوض.

وفي ضوء ما تقدَّم يُستبانُ أنَّ القرآن الكريم والنبيَّ الأكرم ﷺ بمعيَّة أهل بيته عليهم السلام هما الطريقان العاصمانِ من الضَّلالة، ولا يمكن لأحدٍ أن يكون أكثر قربًا لكلام اللَّه تعالى منهم بدليل نصِّ الرسول المتقدِّم، ومن هنا فإنَّهم أساس انطلاق الوعي بالقرآن الكريم وفهم محتواه ومضامينه.

وهم نقطة التقاء المسلمين جميعًا؛ إذ لا خلاف في فضلهم وعلوِّ مقامهم وعلمهم وأخذ الدِّين منهم، ومحبَّتهم وموالاتهم، بدليل احتواء كتب المسلمين على اختلاف انتماءاتهم بأحاديثهم ورواياتهم وسيرهم، وإطباقهم على تبجيلهم وتكريمهم.

فضلًا عمَّا سبق فإنَّ هذا الحقل المعرفي (تفسير النَّبيِّ وأهل بيته) لم يُسلَّط عليه الضوء بشكلٍ يُناسب أهميَّته، وكذا لم تُفرد له مجلَّة علميَّة محكَّمة متخصِّصة في رصده ودراسته.

حدود المجلَّة واهتماماتها:

تتبنَّى مجلَّة (هدي الثَّقلين) دراسة تفسير النَّبيِّ الأكرم وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، ولا تتوقَّف عند حدود مدوَّناتٍ بعينها، وإنَّما تراقب آثارهم أينما وُجِدت على نسق المعيار الذي أسَّسوه عليهم السلام، وهو عرض الأخبار الواردة عنهم على القرآن الكريم فما وافقه قُبِل وما لم يوافقه يُردُّ، وعلى أساس هذه الضابطة فإنَّ المجلَّة تستقبل الدِّراسات التي تُعنى بتفسيرهم للقرآن الكريم من دون تحديد المدونات أو تصنيفها؛ لأنَّنا قد راقبنا تفسير النبيِّ وأهلِ بيته عليهم السلام فوجدناه متفرِّعًا من شمولية القرآن الكريم واتِّساعه؛ ليكون هديًا للإنسان في حياته وآخرته.

الرؤية:

تفسير النَّبي وأهل بيته عليهم السلام ضرورة دينيَّة وحاجة معرفيَّة؛ لتلازمهما الشرعي والمعرفي بوصفهم عِدْل القرآن الكريم.

الرِّسالة:

تسعى المجلَّة إلى دراسة تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم على وفق المعايير الأكاديمية في المنهج العلميِّ الرَّصين مع الأصول الإسلاميَّة ومبادئها الفكرية، وبما يتوافق مع الحاجات المعرفيَّة المعاصرة؛ وبما يمكن التنبُّؤ به من حاجاتٍ معرفيَّة مستقبليَّة فتهيِّء إجاباتٍ مسبقةً عن أهمِّ تساؤلات المعرفة.

الأهداف:

١. المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة وتصحيح مساراته بنشر بحوثٍ علميَّةٍ رصينةٍ محكَّمةٍ من لدن خبراء متخصصين.

٢. تلبية حاجات الباحثين في مجال التفسير القرآنيّ على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية كافَّة .

٣. إضافة رصيد علمي متخصص لخدمة الباحثين وإثراء المعرفة في مجال التفسير القرآني.

٤. توثيق الصِّلات المعرفيَّة ومدّ جسور التعاون بين المراكز البحثيَّة والجامعات الأكاديميَّة؛ بغية الارتقاء بالمعرفة التفسيريَّة وإخراجها على نمطٍ يوازي المتطلبات المعاصرة.

٥. بيان رؤية النَّبي وأهل بيته عليهم السلام للخطاب القرآنيّ وأساليب تحليله، وأسس فهمه ومحدِّدات الاجتهاد لمن يتصدَّى لتفسيره.

٦. العمل على إظهار تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وجعله بوصلةً تنتظم عليه التفاسير الأُخَر؛ بوصفهم عِدْلَ القرآن الكريم بنصِّ الرسول صلى الله عليه وآله.

٧. بيان المعارف القرآنيَّة التي فتق النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام معادنها، وأهمُّها تأسيسهم لحفظ القرآن وصيانة لغته من اللحن، والعمل على ديمومتها وحفظها من الزوال .

٨. الكشف عن جهود أهل البيت عليهم السلام وأثرهم في مدونات المسلمين وغيرهم ودراستها على وفق رؤيةٍ علميَّةٍ متخصِّصة.

المُحتَوَيات

ص	عُنوَانُ البَحث	اسمُ البَاحِث
٢٧	التَّكَامُلُ الْقِيَمِيُّ فِي الْإِسْلَام: الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَالصَّبْرُ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ)	أ.د. محمَّد كاظم الفتلاوي جامعة الكوفة / كليّة التربية
٧٧	الْمَنْهَجُ الْكَلَامِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْإِمَامِ الْجَوَادِ عليه السلام قِرَاءَةٌ فِي إِسْهَامَاتِهِ الْعِلْمِيَّةِ	أ.د. أحمد الصفار جامعة مانشستر – بريطانيا
١٤١	مَنَاهِجُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام الْمَنْهَجُ الْقُرْآنِيُّ، والْمَنْهَجُ اللُّغَوِيُّ، وَالْمَنْهَجُ الْمَوْضُوعِيُّ	أ.د خولة مهدي شاكر الجرّاح جامعة الكوفة / كليَّة الفقه
١٧٧	اسْتِرَاتِيجِيَّاتُ الْخِطَابِ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قِرَاءَةٌ فِي ضَوْءِ الْمَرْجِعِيَّاتِ الْقُرْآنِيَّةِ	م. د عماد طالب موسى جاسم المديريَّة العامَة للتربية في محافظة كربلاء المقدَّسة
٢٠٧	الأَثَرُ الْقُرْآنِيُّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْعُلُومِ النَّفْسِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ	م.م زهراء عبد الزهرة سالم كليَّة التربية الأساسيَّة / جامعة ميسان

٢٤٥

مَفْهُومُ الْإِيمَانِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَرْوِيَّاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام

م.م. محمَّد حسُّون عبد الزهرة
الباحثة: انتصار هادي عبَّاس
جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

٢٩٧

الرِّوَايَاتُ التَّفسِيرِيَّة لِلإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي تَفْسِيرِ المُحَرَّرِ الوَجِيزِ لِابْنِ عطيَّةِ الأَنْدُلِسِيِّ (ت ٥٤١هـ)

م.م مالك محمود جاسم الغشَّاميّ
وزارة التربية / المديريَّة العامَّة لتربيـــة واســـط

٣٢٧

الْإِفْهَامِيَّةُ فِي أُسْلُوبَيِ النِّدَاءِ وَالْأَمْرِ دِرَاسَةٌ فِي نَمَاذِجَ مِنْ مَرْوِيَّاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام التَّفْسِيرِيَّةِ

الباحث كرَّار محمَّد خلف
العتبة الحسينيَّة المقدَّسة/ دار القرآن الكريم

٣٥٣

وَظَائِفُ الْإِعْلَامِ الدِّعَائِيِّ وَوَسَائِلُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الباحث قحطان عامر محمَّد
العتبة الحسينيَّة المقدَّسة/ دار القرآن الكريم

٣٨١

خُطُوَاتُ الْمَسَارِ التَّطْبِيقِيِّ لِصِنَاعَةِ الْقَرَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)

الباحثة: منى هادي عذاب
أ.م. د. مسلم جواد خضير
م. د. آمال عبد المحسن تايه
جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

مَفْهُومُ الْإِيمَانِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَرْوِيَّاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام

م.م. محمَّد حسُّون عبد الزَّهرة
الباحثة: انتصار هادي عبَّاس
جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

The Concept of Faith: An Analytical Study In Light of Holy Qur'an and the Narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them)

Assistant Lecturer: Muhammad Hassoun Abdul Zahra
Researcher: Intisar Hadi Abbas
University of Karbala / College of Islamic Sciences

الملخَّص:

يدرس البحث موضوع الإيمان من منظور النصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة وروايات آل البيت عليهم السلام، مع التَّركيز على دلالاتها العقديَّة والتربويَّة، ويسعى البحث إلى الكشف عن حقيقة الإيمان وحدوده المفهوميَّة كما يعرضها الوحي، وبيان تنوُّع مراتبه وتجلِّياته في الخطاب القرآني والحديثي، بوصفه حالةً مركَّبةً تقوم على المعرفة القلبيَّة واليقين العملي. ويناقش البحث أيضًا جملةً من العوامل التي تؤدِّي إلى ضعف الإيمان أو زواله، من تتبُّع السياقات القرآنيَّة والحديثيَّة التي حذَّرت من الانحراف العقدي والسلوكي، وربطها بالواقع الفكري المعاصر، ويدرس البحث عددًا من الشُّبهات المثارة حول الإيمان، محلِّلًا مناشئها ومناقشًا أطروحاتها في ضوء النصِّ القرآني والحديث النبوي، مع تقديم ردود علميَّة تقوم على التحليل والنقد والاستدلال، بعيدًا عن الطابع الوعظي أو الخطابي. ويخلص البحث إلى أنَّ الإيمان في الرؤية القرآنيَّة والحديثيَّة ليس هو تصديقًا ذهنيًّا أو انتماءً شكليًّا فحسب؛ بل هو حقيقة تتجلَّى آثارها في الفكر والسلوك، وتتفاوت درجاتها تبعًا لعمق الوعي بالنصِّ والالتزام بمضامينه، وأنَّ النصوص الشرعيَّة قدَّمت تصوّرًا متكاملًا للإيمان يجمع بين البعد المعرفي والقلبي والعملي، بما يجعله أساسًا في بناء الشخصيَّة المؤمنة ومواجهة التحدِّيات الفكريَّة المعاصرة.

الكلماتُ المفتاحيَّة: الإيمانُ، القرآنُ الكريمُ، مرويَّاتُ أهلِ البيتِ عليهم السلام.

Abstract:

This research studies the subject of faith from the perspective of Qur'anic texts, Prophetic hadiths, and the narrations of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), with a focus on their doctrinal and educational implications. The research seeks to uncover the reality of faith and its conceptual boundaries as presented by revelation, and to clarify the diversity of its levels and manifestations in the Qur'anic and hadith discourse, as a complex state based on heart-based knowledge and practical certainty. The research also discusses a number of factors that lead to the weakening or disappearance of faith, by tracing the Qur'anic and hadith contexts that warned against doctrinal and behavioral deviation, and linking them to the contemporary intellectual reality. The research addresses a number of doubts raised about faith, analyzing their origins and discussing their propositions in light of the Qur'anic text and the Prophetic tradition, with the presentation of scientific responses based on analysis, criticism, and inference, away from the sermonic or rhetorical style. The research concludes that faith in the Qur'anic and hadith perspective is not merely mental assent or formal affiliation; rather, it is a reality whose effects are manifested in thought and behavior, and whose degrees vary according to the depth of awareness of the text and commitment to its contents, and that the religious texts have presented an integrated conception of faith that combines the cognitive, spiritual, and practical dimensions, making it a foundation in building the believing personality and confronting contemporary intellectual challenges.

Keywords: Faith, the Holy Qur'an, Narrations of the Ahl al-Bayt (peace be upon them).

المقدِّمة

الحمد لِلَّه الَّذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، الَّذي لم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا، والصلاة والسلام على المخاطَبِ بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، المنعوت بقولهِ تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّه بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٦]، سيِّد الأنبياء، المتحدِّي بسيِّد الكتبِ بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣]، وعلى آله وأولاده الَّذين أذهب اللَّه عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا.

يُعدُّ مفهوم الإيمان حجر الزاوية في البنية العقديَّة الإسلاميَّة، ومحورًا تدور حوله مسائل العقيدة والفقه والسلوك. وعلى الرَّغم من مركزيَّته، ظلَّ موضوعًا لإشكالات علميَّة عدَّة، تتراوح بين تحديد ماهيَّته اللغوية والاصطلاحيَّة، وبيان أركانه وماهيَّته بين زيادةٍ ونقصان، وصولًا إلى موازنته بمفاهيم مجاورة التي منها الإسلام والميثاق والإحسان. وقد أسفرت هذه الإشكالات عن تباين في الرؤى والمواقف الكلاميَّة بين مختلف المذاهب الإسلاميَّة، ولا سيَّما بين مدرستي الإماميَّة والجمهور، ممَّا يستدعي دراسة مقارنة تستكمل الصورة وتجلِّي نقاط الالتقاء والافتراق.

أهداف البحث: تسعى هذه الدِّراسة إلى تحليل مفهوم الإيمان تحليلًا شاملًا، انطلاقًا من تحديد دلالته اللغويَّة والاصطلاحيَّة، ومرورًا بأنواع الإيمان وعوامل زواله، وصولًا إلى مناقشة أبرز الشبهات عليه والرَّدِّ عليها، وبيان تجلِّياته في المصادر التأسيسية (القرآن الكريم والسنَّة الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام).

منهج البحث: تعتمد الدراسة المنهج التحليلي؛ بغية الوقوف على الخصائص المميَّزة لكلِّ رؤية، وتقويم الحجج والاستدلالات المقدَّمة في سياقها التاريخي والعقدي.

أهميَّة البحث: تكمن أهميَّة البحث في سعيه لتقديم صورة متكاملة وموضوعيَّة عن واحدة من أهمِّ الإشكاليَّات العقديَّة، التي لها انعكاسات مباشرة على فهم التكليف الشرعي، ومصير الإنسان الأخروي. وإثراء المكتبة الإسلاميَّة بدراسة تجمع بين التنظير الكلامي والاستنباط من النصوص، مع تقديم ردودٍ علميَّة على الشبهات المعاصرة حول الإيمان.

خطَّة البحث: اقتضت مادَّة الدراسة أن تتألَّف خطَّته من مقدَّمة وأربعة مباحث؛ حمل المبحث الأوَّل عنوان: الإيمان في اللغة والاصطلاح، وفيه مطلبان: الأوَّل- مفهوم الإيمان لغةً، والثاني: مفهوم الإيمان اصطلاحًا. وأمَّا المبحث الثاني، فكان بعنوان: أنواع الإيمان، وعوامل زواله، وكان المبحث الثالث بعنوان: شبهات حول الإيمان باللَّه تعالى. وأمَّا المبحث الرابع فحمل عنوان: الإيمان في القرآن الكريم ومرويَّات أهلِ البيتِ عليهم السلام. وفي الختام نسأل اللَّه تعالى أن تكون هذه الدِّراسة قد وُفِّقت في أن تأتي بجديدٍ أو مفيدٍ، والحمد لِلَّه ربِّ العالمين.

المبحثُ الأوَّل: مفهوم الإيمان لغة واصطلاحًا

المطلب الأوَّل: الإيمان لغة

يأتي الإيمان في اللغة بمعانٍ عدَّة، منها:

١. الأمْنُ: ((ضِدُّ الخَوْفِ. وَالفِعْلُ مِنْهُ: أَمِنَ يَأْمَنُ أَمْنًا. وَالمَأْمَنُ: مَوْضِعُ الأَمْنِ. وَالأَمَنَةُ مِنَ الأَمْنِ: اِسْمٌ مَوْضوعٌ مِنْ أَمِنْتُ))[١].

٢. التصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدِّق[٢].

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ الإيمان عند أهل اللغة يراد به معنيان:(الأمنُ والتصديقُ) ويظهر معناهما بحسب السياق.

المطلب الثَّاني: الإيمان اصطلاحًا

وقد عُرِّف بتعريفات عدَّة منها:

١- الإيمان: هو ((الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أضلِّ بالشهادة فهو كافر، الإيمان على خمسة: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود، فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان المردود هو إيمان المنافقين))[٣].

---

(١) العين: ٨/ ٣٨٨.

(٢) ينظر: م.ن: ٨/ ٣٨٩.

(٣) التعريفات: ٨/ ٤٠.

٢-الإيمان: هو ((التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أخبر اللَّه ورسوله عنه في القرآن والسُّنَّة، وأمر بالإيمان به والانقياد له ظاهرًا وباطنًا))[١].

٣- ذكر السيِّد الطباطبائي أنَّ الإيمان هو: ((تمكِّن الاعتقاد في القلب، مأخوذ من الأمن كأنَّ المؤمن يعطي لما آمن به الأمن من الريب والشكِّ وهو آفة الاعتقاد، والإيمان كما مرَّ معنى ذو مراتب: إذ الإذعان ربَّما يتعلَّق بالشيء نفسه فيترتب عليه أثره فقط، وربَّما يشتدُّ بعض الاشتداد فيتعلَّق ببعض لوازمه، وربَّما يتعلَّق بجميع لوازمه، فيستنتج منه أنَّ للمؤمنين طبقات على حسب طبقات الإيمان))[٢]

٤- الإيمان: ((عبارة عن التَّصديق القلبي باللَّه تعالى وبما جاء به رسوله، من قول أو فعل، والقول اللساني سبب ظهوره وسائر الطاعات ثمرات مؤكِّدة له))[٣]، ((ومصداقًا لهذا المعنى نجد القرآن كما ذكر المؤمنين بوصف جميل و أجر جزيل شفع الإيمان بالعمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وبعد هذا العرض لتعريفات الإيمان في اللغة والاصطلاح يُمكن القول إنَّ الإيمان في المعنى الاصطلاحي مستندٌ إلى المعنى اللغوي، إذ التصديق القلبي هو الأساس في المعنيين؛ لكنَّ التصديق عند الإماميَّة لا يقتصر على التوحيد والنبوَّة فقط؛ بل يشمل أيضًا الإيمان بالإمامة كامتداد للنبوَّة، وهو جزء لا يتجزَّأ من العقيدة إلى جانب التصديق والعمل، وهو عنصر أساسي يميِّز مفهوم الإيمان لديهم.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: ٤١، وينظر: قواعد المرام في علم الكلام: ١٧٠.
(٢) تفسير الميزان: ١/ ٤٥.
(٣) قواعد المرام في علم الكلام: ١٧١.

المبحث الثَّاني: أنواعُ الإيمان وعواملُ زواله

الإيمان باللَّه عز وجل ووجوده، أمرٌ لا شكَّ ولا جدال فيه عند أصحاب العقول السليمة والفطر السويَّة، ومع ذلك فالمجتمعات الإنسانيَّة لا تخلو من وجود فئة قليلة ملحدة، تنكر وجود اللَّه تعالى، متمرِّدة على الفطرة الثابتة في نفوس البشر والخلق جميعًا بوجود اللَّه عز وجل؛ ولذا نعرض في هذا المبحث؛ أنواع الإيمان، وعوامل زواله، ثمَّ بعد ذلك نقارن مع مصطلحات الإيمان والإسلام والإحسان والميثاق لبيان الفروق بينها.

المطلب الأوَّل: أنواع الإيمان

يُقسَّم الإيمان بالنَّظر إلى رسوخه وثباته، أم عدمه إلى ثلاثة أنواع، هي:

١. الإيمان الفطري – المستقر.

٢. الإيمان المستودع.

٣. الإيمان الكسبي.

١– الإيمان الفطري – المستقر: كإيمان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الذين لا تخالجهم الشكوك ولا يكونون نهبًا للوساوس؛ لأنَّ اللَّه تعالى فطرهم على الإيمان به واليقين بما أخبرهم عنه من مكنون غيبه[1].

إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إنَّ اللَّه جَبَلَ النبيِّين على نبوَّتهم فلا يرتدُّون أبدًا، وجَبَلَ الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدُّون أبدًا، وجَبَلَ بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدُّون أبدًا، ومنهم من أُعير الإيمان عارية، فإذا هو دعا وألحَّ في الدُّعاء مات على الإيمان))[2].

(١) ينظر: الإيمان والكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع: ٣٣.

(٢) الكافي: ٢/ ٤١٩.

٢- الإِيمان المستودع: وهو الإِيمان الصوري غير المستقرِّ الذي سرعان ما تزعزعه عواصف الشبهات ووساوس الشيطان ويعبِّر عنه أيضًا بالإِيمان المعار، كأنَّما يستعير صاحبه الإِيمان ثمَّ يلبسه، ولكن سرعان ما ينزعه ويتخلَّى عنه[١]، فقد ورد عن الفضل بن يونس عن أبي الحسن عليه السلام قال لي: ((أكثر من أن تقول: اللَّهمَّ لا تجعلني من المعارين[٢] ولا تخرجني من التقصير))[٣].

وأشار إلى هذين القسمين من الإِيمان؛ الثابت والمتزلزل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام:٩٨]، وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((فمن الإِيمان ما يكون ثابتًا مستقرًّا في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم))[٤]، وعن الإِمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: ((أمَّا المستقرُّ الذي يثبت على الإِيمان، والمستودع: المُعار))[٥]، وعن يونس عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((إنَّ اللَّه خلق النبيِّين على النبوَّة، فلا يكونون إلَّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإِيمان فلا يكونون إلَّا مؤمنين، وأعار قومًا إيمانًا فإن شاء تمَّمه لهم وإن شاء سلبهم إيَّاه، قال: وفيهم جرت: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾، وقال لي: إنَّ فلانًا كان مستودعًا إيمانًا، فلمَّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك))[٦]، وعن سعيد بن أبي الأصبغ قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام، وهو يُسأل عن مستقرٍّ ومستودع، قال: مستقرٌّ في الرَّحم، ومستودع في الصُّلب، وقد يكون مستودع الإِيمان ثمَّ ينزع منه))[٧].

---

(١) ينظر: الإيمان والكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع: ٣٣.
(٢) المعارين: إنَّ الرجل يعار الدين. أي: لا تجعلني من الذين يكون إيمانهم عندهم معارًا.
(٣) الكافي: ٢/ ٧٣.
(٤) نهج البلاغة: ٢٧٩.
(٥) ميزان الحكمة: ٢٠٠.
(٦) التفسير الصافي: ٢/ ١٤٣.
(٧) تفسير العياشي: ١/ ٣٧١.

٣- الإيمان الكسبي: هو ((الإيمان الفطري الطفيف الذي نمَّاه صاحبه واستزاد رصيده حتَّى تكامل وسمى إلى مستوى رفيع، وله درجات ومراتب))[١]، ويمكن تنمية هذا النوع من الإيمان وترصينه حتَّى يصل إلى مرتبة الإيمان المستقرِّ؛ ولذلك ورد في نصائح أمير المؤمنين عليه السلام لكميل قوله: ((ياكميل، إنَّه مستقرٌّ ومستودع، فاحذر أن تكون من المستودَعين وإنَّما يستحقُّ أن تكون مستقرًّا إذا لزمت الجادة - أي: الطريق- الواضحة التي لا تُخرجك إلى عوج، ولا تزيلك عن منهج))[٢].

المطلب الثاني: عوامل زوال الإيمان

هناك مجموعة من العوامل التي تُسهم في إخراج الإنسان من طريق الإيمان السويِّ، يمكن الإشارة إلى أبرزها بالآتي:

١- عدم معرفة الأَئِمَّة عليهم السلام:

لمَّا كان الأَئِمَّة عليهم السلام هم السبيل إلى اللَّه تعالى، والمسلك إلى رضوانه وحججه على عباده؛ وجبت معرفتهم ومحبَّتهم، ويؤيِّد ذلك ما في آية المودة ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، وحديث: ((مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليَّة))[٣]؛ ومن هنا قال الإمام الباقر عليه السلام: ((لا يكون العبد مؤمنًا حتَّى يعرف اللَّه ورسوله والأَئِمَّة كلُّهم، وإمام زمانه، ويردُّ إليه، ويسلِّم له))[٤].

فالمؤمن الكامل في إيمانه يجب أن يعرف إمام زمانه، ومن دون هذه المعرفة الواجبة عليه يصبح ضالًّا، فكلُّ إنكارٍ للأَئِمَّة عليهم السلام يجرُّ إلى هاوية الكفر. وأنَّ ادِّعاء الإمامة بغير وجه حقٍّ يعدُّ من الموارد التي تورد صاحبها الكفر[٥]، فعن الفضيل

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ١٤٨.
(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ١٧٤.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٧.
(٤) الكافي: ١/ ١٨٠.
(٥) ينظر: الإيمان والكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع: ٧١.

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال:((مَن ادَّعى الإِمامة وليس من أهلها فهو كافر))[١].

٢ـ الغلوّ:

وهو من العوامل الأساسيَّة التي تُسهم في خروج الإنسان عن حظيرة الإِيمان، فعن سعيد بن جبير قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((ما غلا أحدٌ من القدريَّة إِلَّا خرج عن الإِيمان))[٢].

٣ـ العصبيَّة:

الإِيمان يعني التزام الحقِّ ولا يجتمع مع العصبيَّة التي ضمن ما تعنيه من إيثار مصالح القرابة والقوم على قواعد الحقِّ والعدالة، عند التعارف بينهما، وعليه فمَن تَعَصَّب انقلب على عقبيه عن الإِيمان، وصنَّفَ مع أعراب الجاهليَّة[٣]، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((مَن كان في قلبه حبَّة من خردلٍ من عصبيَّة بعثه اللَّه يوم القيام مع أعراب الجاهليَّة))[٤]، كما جاء عن الإِمام الصادق عليه السلام: ((مَن تعصَّبَ أو تُعصِّبَ له فقد خلعَ ربقة الإِيمان من عنقه))[٥].

٤ – ضرب القرآن بعضه ببعض:

المعروف أنَّ بعضهم يتلاعب بمعاني القرآن بحسب أهوائه ومصالحه، فيضرب بعضه ببعض ليثبت حجَّته ويُسكت خصمه تجنُّبًا على الحقِّ والحقيقة، وتشويهًا لمعاني القرآن الصافية، وهذا هو عين الجحود والكفر باللَّه تعالى، فـ((عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام: ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إِلَّا كفر))[٦]، وجاء في البحار في معنى الحديث ((أنَّ الصدوق رحمه اللَّه قال: سألت ابن الوليد عن

(١) ثواب الأعمال وعقب الأعمال: ٢١٤.
(٢) م.ن: ٢٥٤.
(٣) ينظر: الإيمان والكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع: ٧٢.
(٤) ميزان الحكمة: ٣/ ١٩٩٣.
(٥) الكافي: ١/ ٣٠.
(٦) م. ن: ٢/ ٦٣٢.

معنى هذا الحديث فقال: هو أن تُجيب الرَّجل في تفسير آية بتفسير آية أخرى))[1].

٥-الطمع:

وهو أحد العوامل النفسيَّة التي تُسهم في إخراج الإنسان من بوتقة الإيمان، إذ قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ((ما ثبات الإِيمان؟ قال عليه السلام: الورع. قيل: فما زواله؟ قال: الطمع))[2].

٦- عوامل أخرى:

وكذلك فإنَّ هناك عوامل أخرى تعمل على الخروج من الإِيمان وردت في بعض الرِّوايات، ومنها:

١ـ عن حماد عن نعمان الرازي قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: ((مَن زنى خرج من الإِيمان، ومَن شرب الخمر خرج من الإِيمان، ومَن أفطر يومًا من شهر رمضان متعمِّدا خرج من الإِيمان))[3].

٢ـ عن عبد اللَّه بن سنان قال: ((سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الرَّجل يرتكب الكبيرة من الكبائر، فيموت، هل يُخرجه ذلك من الإِسلام؟ وإن عُذِّب كان عذابه كعذاب المشركين عنده مدَّة وانقطاع؟ فقال عليه السلام: مَن ارتكب كبيرة من الكبائر فزعم أنَّها حلال أخرجه ذلك من الإِسلام، وعُذِّب أشدَّ العذاب، وإن كان معترفًا أنَّه أذنب ومات عليه، أخرجه من الإِيمان ولم يخرجه من الإِسلام، وكان عذابه أهون من عذاب الأوَّل))[4].

(١) بحار الأنوار: ٨٩/ ٣٩.

(٢) الاختصاص: ٣١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٦/ ١٩٧.

(٤) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: ١/ ٣٣.

المطلب الثَّالث: الفرق بين الإِيمان والإِسلام والميثاق والإِحسان

أَوَّلًا: الفرق بين الإِيمان والإِسلام:

سبق أن عرَّفنا الإِيمان لغةً واصطلاحًا.

١. الإِسلام في اللغة: فهو ((الاستسلام والانقياد، والإِسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبيُّ ﷺ))[١].

٢. الإِسلام اصطلاحًا: هو: ((الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ))[٢]، وعُرِّف أيضًا: ((التشهُّد بالشهادتين لسانًا، والعمل بالشرع ظاهرًا))[٣]، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٥].

ولذا يركِّز المعنى اللغوي والاصطلاحي للإِسلام على الانقياد والخضوع والعمل على وفق ما جاء به الشرع. وأمَّا الفرق بين الإِيمان والإِسلام في منظور أهل البيت عليهم السلام فقد ورد في كتاب سليم بن قيس عن الفرق بينهما: ((قلت: يا أمير المؤمنين، ما الإِيمان؟ وما الإِسلام؟ قال: أمَّا الإِيمان فالإقرار بالمعرفة، والإِسلام فما أقررت به والتسليم والطاعة لهم. قلت: الإِيمان الإقرار بعد المعرفة به؟ قال: مَن عرَّفه اللَّه نفسه ونبيَّه وإمامه ثمَّ أقرَّ بطاعته، فهو مؤمن، قلت: المعرفة من اللَّه والإقرار من العبد؟ قال: المعرفة من اللَّه دعاء وحجَّة ومنَّة ونعمة، والإقرار من اللَّه قبول العبد، يمنُّ على من يشاء، والمعرفة: صنع اللَّه تعالى في القلب، والإقرار فعال القلب من اللَّه وعصمته ورحمته))[٤].

---

(١) لسان العرب: ١٢/ ٢٩٣.

(٢) التعريفات: ٢٣.

(٣) الإيمان والإسلام في كلام أهل البيت عليهم السلام ومتكلِّمي الشيعة: العدد ٨١.

(٤) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٧٣.

عن سماعة قال: ((قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟ فقال: الإسلام: شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه، والتصديق برسول اللَّه صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان: الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إنَّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة))[١].

وعن جميل بن صالح عن الكناني قال: ((قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام: أيُّهما أفضل الإيمان أم الإسلام؟ فإنَّ مَن قبلنا يقولون: إنَّ الإسلام أفضل من الإيمان. فقال: الإيمان أرفع من الإسلام. قلت: فأوجدني ذلك؟ قال: ما تقول فيمَن أحدث في المسجد الحرام متعمِّدًا؟ قال: قلت: يُضرب ضربًا شديدًا. قال: أصبت. فما تقول فيمَن أحدث في الكعبة متعمِّدًا؟ قلت: يُقتل قال: أصبت، ألا ترى أنَّ الكعبة أفضل من المسجد، وأنَّ الكعبة تشرك المسجد، والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان))[٢].

وقد تحدَّث الإمام الباقر عليه السلام عن الفرق بين الإيمان والإسلام فقال: ((الإيمان: ما كان في القلب والإسلام: ما عليه التناكح والتوارث وحقنت به الدماء، والإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان))[٣]، وقال عليه السلام في كلام آخر عن الفرق بينهما: ((الإيمان: إقرار وعمل، والإسلام: إقرار بلا عمل))[٤].

وروى عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حمَّاد بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير، قال: ((كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد اللَّه عليه السلام فقلت له: جعلت

(١) الكافي: ٢/ ٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٥، ٢٥٠.

(٣) تحف العقول: ٢٩٧.

(٤) م. ن: ١٣٣.

فداك، اختلف الناس في أَشياء قد كتبت بها إِليك، فإن رأَيت جعلني اللَّه فداك أَن تشرح لي جميع ما كتبت به إِليك، اختلف الناس بالإِيمان ما هو؟ فكتب عليه السلام على يدي عبد الملك بن أَعين فقال: فالإِيمان هو إِقرار باللسان وعقد بالقلب وعمل بالأَركان، فالإِيمان بعضه من بعض وقد يكون العبد مسلمًا قبل أَن يكون مؤمنًا، ولا يكون مؤمنًا حتَّى يكون مسلمًا، فالإِسلام قبل الإِيمان وهو يشارك الإِيمان، فإذا أَتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أَو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى اللَّه عز وجل عنها كان خارجًا من الإِيمان وساقطًا عنه اسم الإِيمان، وثابتًا عليه اسم الإِسلام، فإن تاب واستغفر عاد إِلى الإِيمان ولم يخرجه إِلى الكفر والجحود والاستحلال، وإِذا قال للحلال: هذا حرام، وللحرام: هذا حلال ودان بذلك، فعندها يكون خارجًا من الإِيمان والإِسلام إِلى الكفر، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم، ثمَّ دخل الكعبة فأَحدث في الكعبة حدثًا، فأُخرج عن الكعبة وعن الحرم، فضربت عنقه وصار إِلى النَّار))[1].

يتبيَّن ممَّا سبق أَنَّ الإِيمان يقيم في ضمائر المتَّقين والمنيبين إِلى اللَّه تعالى به يخشونه ويخافون عقابه فلا يتركون واجبًا ولا يقترفون إثمًا، أَمَّا الإِسلام فهو التلفُّظ بكلمة التوحيد، وإذا نفذ إِلى أعماق القلب صار المسلم مؤمنًا وإِلَّا فلا، وإِلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].

ثانيًا: الفرق بين الإِيمان والميثاق:

١. الميثاق لغةً: ((صيغة مبالغة من الفعل (وثق)، وتدلّ مادة هذا الفعل على السكون والاعتماد والعقد والإحكام، يقال: وثقت به، أي: سكنت إليه وائتمنته واعتمدت عليه، ويقال: وثقت الشيء، أي: أحكمته. والوثيق: الشيء المحكم

(١) التوحيد، الصدوق: ٢٢٨-٢٢٩.

ومنه قولهم ناقة موثقة الخلق، أي: محكمته، وأرض وثيقة، أي: كثيرة العشب موثوق بها، وكلأٌ موثوق، أي: كثير يكفي أهله. ومنه الوثاق: وهو حبل أو قيد يشدُّ به الأَسير أو الدابَّة شدًّا محكمًا، يقال: أوثقه، إذا شدَّه بالوثاق، ويطلق على العهد المحكم: ميثاقًا؛ لربط أطرافه وتأكيد مضمونه باليمين المجرَّدة أو المغلَّظة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ [يوسف:٦٦]، أي: عهدًا موثَّقًا بالحلفِ وعلى هذا فالميثاق أخصُّ من العهدِ، والعقد؛ لأَنَّ العهد مؤكِّد بيمين غالبًا ما تكون مغلَّظة لا مجرَّده))[١].

٢.الميثاق اصطلاحًا: هو ((اسم جنس يشمل كلَّ ميثاق مع الخالق أو المخلوق، والميثاق مع الخالق إِمَّا أن يلتزمه العبد من تلقاء نفسه تقرُّبًا إلى اللَّه تعالى، كالنذور وما يجري مجراها، وإِمَّا أن يلزمَ به الربُّ عبادَه بمقتضى ربوبيَّته وألوهيَّته))[٢]، وهي مواثيق الإِيمان التي أخذها اللَّه تعالى على عبده بنفسه أو بواسطة رسله وكتبه، وهي ثلاثة أنواع رئيسة:

الأوَّل: ميثاق التوحيد: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣].

الثاني: ميثاق النبوَّة: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧].

الثالث: ميثاق الاتِّباع: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣].

(١) ميثاق الإيمان: ١١.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥١٢.

وقد ذكر بعض العلماء ميثاقًا رابعًا، وهو ميثاق العقل، قال الرَّاغب الأصفهاني: ((عهد اللَّه تارة يكون بما ركَّزه في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبألسنةِ رسله))[١].

ثالثًا : الفرق بين الإيمان والإحسان:

١. الإحسان لغة: هو ((ضدَّ الإساءة، ورجل مُحسِن ومِحسان، وأراد بالإحسان: الإخلاص، وهو شرط في صحَّة الإيمان والإسلام معًا، وذلك إنَّ مَن تلفَّظ الكلمة وجاء بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنًا، وإن كان إيمانه صحيحًا، وقيل: أَراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطَّاعة فإنَّ مَن راقب اللَّه أَحسن عمله، وقد أَشار إليه في الحديث، بقوله: (فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]))[٢].

٢. الإحسان شرعًا: هو ((بذل جميع المنافع من أَيِّ نوع كان لأَيِّ مخلوق يكون؛ ولكنَّه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم وحقِّهم ومقامهم وبحسب الإحسان وعظم موقعه وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه والسبب الدَّاعي له إلى ذلك))[٣].

لذا فمراتب الدين ثلاث: أَوَّلها؛ الإسلام، وثانيها: الإيمان، وثالثها: الإحسان في الاعتقادات الباطنة والأَعمال الظاهرة[٤]، وجميع الأَعمال الصالحة داخلة في الإسلام، والإيمان، فإذا جمع المؤمن بين الأَعمال كلِّها الظاهرة والباطنة صار مسلمًا مؤمنًا، وإذا عبد اللَّه كأَنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّه يراه صار مسلمًا مؤمنًا محسنًا.

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٥٠.
(٢) لسان العرب: ١٣/ ١١٧.
(٣) بهجه قلوب الأَبرار وقرة عيون الأَخيار في شرح جوامع الأَخبار: ١٤٢.
(٤) ينظر: متن درة البيان في أَصول الإيمان: ٢٢.

المبحث الثَّالث: شُبهات حول الإِيمان باللَّه تعالى

يُعدُّ الإِيمان باللَّه الركيزة الأَساسيَّة التي يقوم عليها الدين الإِسلامي؛ بل سائر الأَديان السماوية. وهو إِيمان يقوم على الفطرة السليمة، والعقل المنطقي، والوحي الإِلهي. ومع ذلك ظهرت عبر العصور شبهات وتساؤلات عدَّة حول هذا الإِيمان، ولا سيَّما في العصر الحديث؛ نتيجة لتأْثير الفلسفات الماديَّة، والنزعات الإِلحاديَّة، والتفسيرات الخاطِئة لبعض المفاهيم الدينيَّة. وتنوَّعت هذه الشبهات بين من يشكِّك في وجود اللَّه عزَّ وجلَّ، أو في صفاته، أو في حكمته وعدله، وفيما يلي أبرز الشبهات التي طُرحت حول الإِيمان باللَّه تعالى:

الشُّبهات: جمع شبهة، والشُّبهة في اللغة: هي ((الالتباس، وأُمور مشتبهة، ومشبَّهة: مشكلة يشبه بعضها بعضًا، وشُبِّه عليه: خلط عليه الأَمر حتَّى اشتبه بغيره))[١]، و((أُمور مشتبهة ومشبَّهة كعظمة: مشكلة))[٢].

والشُّبهة اصطلاحًا: هي ((الشيء الغامض الذي يصاحب أَمرًا فيمتنع تمييزه عن غيره))[٣]، وعرَّفها الشريف الجرجاني بأَنَّها: ((ما لكم يكن متيقِّنًا حرامًا أو حلالًا))[٤]؛ ولذا يدور معنى الشبهة حول الالتباس والخلط بين الحقِّ والباطل أو الصواب والخطأ.

الشُّبهة الأُولى: عدم توفُّر براهين كافية تثبت وجود اللَّه تعالى:

بيان الشبهة:

إِنَّ الأَدلة التي سيقت لإِثبات وجود اللَّه غير كافية في إِثبات المدَّعى ومع عدم

(١) لسان العرب: ١٣/ ٥٠٤.

(٢) القاموس المحيط: ٤/ ٢٨٦.

(٣) وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية: ٢/ ٧٥٦.

(٤) التعريفات: ١٦٥.

وجود الدليل الكافي على وجود اللَّه يلزم من ذلك إنكاره.

جواب الشُّبهة:

١- إنَّ عدم وجدان دليل على وجود شيء لا يستلزم عدم وجوده، فعدم الوجدان ليس دليلًا على عدم الوجود!

٢- إنَّ الإشكال الوارد في الشبهة يرتدُّ على القائلين بها، إذ لا يمتلك مدَّعيها دليلًا واحدًا على نفي وجود اللَّه تعالى، ومن ثَمَّ عدم الدليل على نفي وجوده تعالى يستلزم على وفق منطق أَصحاب الشبهة، وهو ما أَلزموا به أَنفسهم نفي كلِّ ما لم يقم عليه دليل فيكون مدَّعاهم منفيًّا؛ لأَنَّهم لم يأتوا بدليل عليه، ومن ثَمَّ فهو باطل فيكون خلافًا ثابتًا وهو وجوده تعالى[١].

الشُّبهة الثَّانية: شبهة نفي وجود اللَّه تعالى لعدم امكانيَّة مشاهدته (أين هو؟):

بيان الشُّبهة:

هي من الشُّبهات المطروحة قديمًا على لسان الملحدين في مواجهتهم دعوات الأَنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١]، وظهرت أيضًا على لسان ضعاف الإيمان من أَتباع الأَنبياء عليهم السلام كبعض بني إسرائيل ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥]، وتذرَّع بها الملحدون لاحقًا ولاسيَّما أصحاب الاتِّجاهات الفلسفيَّة المادِّيَّة لنفي وجود اللَّه تعالى بأَنَّه لو كان موجودًا لرأيناه وعرفنا أين هو!.

(١) أجوبة الشُّبهات العقديَّة: ٢٩.

جواب الشُّبهة:

إِنَّ استئناس الإِنسان بالماديَّات واستغراقه فيها، وإِهماله القوَّة الروحيَّة والعقليَّة الكامنة في حقيقته كلِّها تشكِّل مانعًا أمام قبول الأَشياء التي لا تقع عليها خصائص الماديَّات وآثارها من طول وعرض وعمق ولون وحركه وتحيِّز وغيرها، وقد ثبت في العلم المعاصر والحديث وجود أشياء ماديَّة لا تقبل الرؤية والمشاهدة كالطَّاقة والجاذبيَّة وغيرهما، وعلى الرغم من ذلك نجد أَصحاب الاتِّجاهات الإِلحاديَّة من علماء الطبيعة والفيزياء والفلك يثبتون وجودها، وهذا الحكم منهم مخالف لمنهجهم المدَّعى في إِثبات وجود شيء أَو نفيه (تناقض في تطبيقات المنهج = بطلان المنهج)[1].

الشُّبهة الثالثة: مقارنة بين عقيدة الملحد وعقيدة المؤمن:

طُرحت هذه الشُّبهة بعنوان: (عدم الاختلاف في الإِيمان بين المؤمن والملحد):

مفاد هذه الشُّبهة أَنَّ الملحد الذي يرفض فكرة وجود قوى فوق الطبيعة كالآلهة رفضًا قاطعًا، فالطبيعة عنده وجدت بالصدفة، وهذا القول يشابه قول المؤمن الذي يعتقد أَنَّ الذي أَوجد الطبيعة هو اللَّه فتكون العمليَّة بينهما متساوية، أَي: الصدفة عند الملحد = وجود اللَّه من العدم عند المؤمن.

ردُّ الشُّبهة: هذه الشُّبهة باطلة قطعًا من جانبين:

١. ليس صحيحًا أَنَّ الملحد يعتقد بأَنَّ الطبيعة هي اللَّه، ولكن من طريق الصدفة، فلو كان يعتقد بذلك لكان يؤمن باللَّه، ولكنَّ الملحد لا يؤمن باللَّه أَصلًا، ويزعم أَنَّ الكون خلق نفسه من عدم، ثمَّ ينسب هذا الخلق إلى العبثية

(١) أجوبة الشُّبهات العقديَّة: ٣١.

والعشوائيَّة والقوى العمياء، فلا حكمة من وجود الكون، ولا غاية، ولا جنَّة، ولا نار، فهو يؤمن بدين بلا إله.

٢. أنَّه من التحريف والكذب المقارنة بين اعتقاد المؤمن في اللَّه واعتقاد الملحد في خلق الكون من العدم أو أنَّ الكون أوجدته الصدفة؛ لأنَّ المؤمن لا يقول: إنّ اللَّه خلق نفسه بنفسه من العدم؛ لأنَّ اللَّه تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وهو سبحانه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، فهو تعالى ليس مخلوقًا؛ بل هو أزليٌّ لا بداية له ولا نهاية[١].

الشُّبهة الرَّابعة: توجيه إلحاديّ في تحديد الفرق بين المؤمن والملحد:

طُرحت هذه الشبهة بعنوان (صحَّة جميع الأديان والمعتقدات):

مفاد هذه الشبهة:

يتوجَّب عدم الدُّخول في صراع الخلق وعدمه؛ لأنَّه حوار عقيم بعيد كلِّ البعد عن صحَّة الأديان، فبطريقة أو أخرى كلّ التوجهات الفكريَّة تعترف بوجود خالق أو موجد (سواء الطبيعة أو الصدفة أو اللَّه...) ثمَّ من المستحيل أن يخلق اللَّه بعض الناس على الدين الصحيح والمذهب الصحيح ويجعلهم من الفرق الناجية، دون بقيَّة الناس الذين لم يكن لهم حقّ الخيار فهم ورثوا الدين عن آبائهم.

ردُّ الشُّبهة: هذه الشُّبهة فيها حقٌّ وباطلٌ، وتوجيه إلحاديٌّ من وجوه:

١. لا يصحُّ أن نساوي بين من يؤمن بأنَّ اللَّه هو خالق الكون، وإيمانه عقلًا وشرعًا وعلمًا، وبين من يؤمن أنَّ الصدفة أو الطبيعة هي خالقة الكون، وإيمانه بقوَّة الوهن والخرافة.

(١) ينظر: دحضًا للشُّبهات وانتصارًا للإيمان والإسلام: ٣٩.

٢. أنَّ وجود اللَّه لا يعني أنَّ الأديان الموجودة كلَّها صحيحة، كما لا يعني بالضرورة أنَّها كلَّها باطلة؛ لأنَّ وجود اللَّه يتطلَّب وجود الدين الحقِّ. وأمَّا اعتقادنا بأنَّ الأديان كلَّها باطلة إلَّا دين واحد وهو (الإسلام) فهو قائم على الأدلَّة والبراهين القطعيَّة التي تثبت أنَّ الإسلام دين اللَّه تعالى، وهو خاتم الديانات.

٣. وأمَّا قول الملحد (ثمَّ من المستحيل أن يخلق اللَّه بعض الناس على الدين الصحيح والمذهب الصحيح ويجعلهم من الفرق الناجية، دون بقيَّة النَّاس الذين لم يكن لهم حقُّ الخيار، فهم ورثوا الدِّين عن آبائهم) فهو غير صحيح، ولا يصحُّ نسبته إلى الإسلام عقلًا، والصحيح أنَّ اللَّه تعالى أخبرنا بالقرآن أنَّ الناس كانوا أمَّة فاختلفوا لمَّا جاءهم العلم بغيًا بينهم، وبعث الأنبياء والرُّسل بدينٍ واحدٍ وهو الإسلام: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]، فرفضت معظم الشعوب والأُمم الإسلام، واختلقت أديانًا ملفَّقة بحسب أهوائها ومصالحها، منها البوذيَّة، والوثنيَّة، واليهوديَّة، والنصرانيَّة... بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

ومن ثمَّ يتبيَّن أنَّ اللَّه لم يفضِّل أمَّة على أخرى ولا خصَّ أُمَّة بوحيه دون أخرى. فكلُّها بعث إليها الأنبياء والرُّسل بدين واحد وهو الإسلام.

الشُّبهة الخامسة: إِنَّ إِيمان المسلم مرض نفسي وسلوك يدفع للعنف والتعصُّب

مفاد الشُّبهة:

زعم بعض المشكِّكين أَنَّ امتثال المسلم لتعاليم دينه المتمثِّلة في أدائه الفرائض، وإقامته للشعائر، وتردُّده على المساجد كلِّها أعراض لمرض نفسي لوَّثه الإِيمان، إذ كلَّما ازداد إِيمان المسلم، ازداد تعصُّبه، وازدادت رغبته في العنف والإرهاب[1].

الردُّ على الشبهة: ويُردُّ على هذه الشبهة من وجوه:

١. الإِنسان مفطور على الإِيمان والإِسلام، وطبيعته النفسية والروحية تجعل الإِيمان أمرًا ضروريًّا، ولا مجال لعدِّه مرضًا نفسيًا ولا اضطرابًا سلوكيًّا؛ لأَنَّ قضية الإِيمان ليست أمرًا على هامش الوجود يجوز لنا أن نغفله أو نستخفَّ به، أو ندعه في زوايا النسيان، كيف وهو أمر يتعلَّق بوجود الإِنسان ومصيره؟ بل إِنَّ قضيَّة الإِيمان هي أعظم قضيَّة مصيريَّة بالنظر إِلى الإِنسان، إِنَّها سعادة الأبد أو شقوته، إِنَّها الجنَّة أَبدًا أو النار أَبدًا، فكان لزامًا على كلِّ ذي عقل أَن يفكِّر فيها ويطمئِنَّ إِلى حقيقتها، وقد فكَّر فيها كثيرون من أُولي الأَلباب، وانتهى كلٌّ منهم إِلى إِثباتها بطريقته الخاصَّة، فمنهم من استند إِلى صوت الفطرة في أَعماقه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠] ومنهم من ناقش المسألة مناقشة حسابيَّة رياضيَّة، فانتهى إِلى أَن آمن لحياته، وما بعد حياته، وبالآخرة وبالجزاء.

٢. الإِيمان هو عقيدة الإِسلام التي تحلُّ لغز الوجود وتزيل الحيرة والاضطراب.

وذلك بإِجابته عن الأَسئِلة الخالدة في ذهن الإِنسان: من أَين؟ وإِلى أَين؟

(١) مقال نشر في صحيفة الحياة: عدد ١٧.

ولِمَ؟ وهذه العقيدة ليست من مستحدثات الإسلام، ولا ممَّا ابتكره محمَّد صلى الله عليه وآله فهي العقيدة المُصفَّاة التي بُعث بها أَنبياء اللَّه جميعًا، ونزلت بها كتب السماء قاطبة[1].

٣. الإيمان يحقِّق السكينة في النفس والسعادة في الحياة:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:((إذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشريَّة والقلب الإنساني، فإنَّ الإيمان باللَّه والدار الآخرة هو ماؤُها وغذاؤُها وهواؤُها وضياؤُها، لقد فجَّر الإيمان في قلب الإنسان ينابيع للسعادة لا يمكن أَن تغيض ولا تتحقَّق السعادة بغيره، تلك هي ينابيع السكينة والأَمن والأَمل والرضا))[2].

هذه هي السعادة الحقَّة التي لا يملك بشر أن يُعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها، وأَمَّا عن تحقيق الإيمان للسكينة فيكفينا في ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤] إذ يقول السيِّد الطباطبائي: ((فازدياد الإيمان مع الإيمان بنزول السكينة هو أن يكون الإنسان على وقاية إلهيَّة من اقتراف المعاصي، وهتك المحارم مع إيمان صادق بأَصل الدعوة الحقَّة))[3].

٤. الإسلام دين التسامح والرحمة وهو واضح من طريق دعوة الإسلام إلى التعايش السِّلمي مع كافَّة البشر أَفرادًا وجماعات، والدين الإسلامي ينظر للإنسان على أَنَّه مخلوق مكرَّم، من دون النظر إلى دينه أَو لونه أَو جنسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

(١) ينظر: موسوعة بيان الإسلام للرد على الافتراءات والشبهات: ٧/ ١١.
(٢) الإيمان والحياة: ٧٦-٨٠.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٢٤.

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، إذ يأمرنا اللَّه تعالى في هذه الآية الإحسان لغير المسلمين، وأمَّا التعصُّب فهو من دأب أعداءِ الإسلام[١]. ولذا فإيمان المسلم لا علاقة له بما ادَّعاه هؤلاء من مرض نفسيٍّ، وأنَّ المرء ليعجب من هؤلاء الذين قلبوا الحقيقة وزيَّفوها، فجعلوا هذا المرض النفسي نتيجة مترتِّبة على تمسُّك المرء بإيمانه، وهو في الحقيقة نتيجة لانعدام الإيمان من قلب الكافر الجاحد، وإلَّا أيُّهما أحقُّ بأن يوصف بأنَّه صاحب مرض نفسيٍّ، المؤمن بربِّه وخالقه؟ أم الكافر الجاحد الذي يعيش تائه حيران؟[٢]. ولذا فمثيرو هذه الشُّبهة، قد خالفوا الصواب، وزيَّفوا الحقائِق بزعمهم أنَّ إيمان المسلم يدفعه للعنف والتعصُّب.

(١) البيان لما يشغل الأذهان: ٨٢.

(٢) ينظر: موسوعة بيان الإسلام للرد على الافتراءات والشبهات: ٧/ ٢٢.

المبحث الخامس: الإيمان في القرآن الكريم ومرويَّات أهلِ البيتِ عليهم السلام

يحتلُّ الإيمان مكانة محوريَّة في العقيدة الإسلاميَّة، فهو أَساس النجاة ومفتاح السعادة في الدنيا والآخرة. وقد اهتمَّ القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة الشريفة ببيان حقيقة الإيمان، وأَركانه، وآثاره في حياة الفرد والمجتمع. فالإيمان ليس تصديق بالقلب فحسب، بل هو قول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، بحسب ما جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

وقد فصَّل القرآن الكريم الحديث عن الإيمان في موضوعات عدَّة، فذكر صفات المؤمنين، وبشَّرهم بالجنَّة والرضوان، وربط بين الإيمان والعمل الصالح. وكذلك وردت في السنَّة النبويَّة أَحاديث جامعة تشرح الإيمان وتوضِّح درجاته، كما في حديث جبريل المعروف الذي يُعدُّ من أَعظم النصوص في بيان أَركان الإيمان.

وفي ضوء ذلك، فإنَّ دراسة مفهوم الإيمان كما جاء في القرآن والسنَّة يُعدُّ أَمرًا ضروريًا لفهم جوهر الإسلام، وبناء عقيدة صحيحة، وتربية النفوس على الطمأنينة والثبات في مواجهة الفتن والشبهات.

المطلب الأَوَّل: الإيمان في القرآن الكريم

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧]:

فعن فضيل بن يسار قال: ((سأَلت أَبا عبد اللَّه عليه السلام عن الحبُّ والبغض أَمِن الإيمان هو؟ قال: وهل الإيمان إلّا الحبّ))[1]. وعن أبي عبيدة زياد الحَذَّاء

(١) الكافي: ٢/ ١٢٥.

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث له قال: ((يا زياد، ويحك، وهل الدين إلّا الحبّ، ألا ترى إلى قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، أوَ لا ترى قول اللَّه لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧] وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:٩]، فقال: الدين هو الحبُّ، والحبُّ هو الدين))[١] وعن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد اللَّه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧] يعني: الأَوَّل والثاني والثالث))[٢]. وذكر الطبري في تفسيره: ((يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيِّ اللَّه صلى الله عليه وآله: واعلموا أيُّها المؤمنون باللَّه ورسوله أَنَّ فيكم رسول اللَّه فاتَّقوا اللَّه أَن تقولوا الباطل وتفتروا الكذب فإنَّ اللَّه يخبره أخباركم ويعرّفه أنباءكم، ويقوّمه على الصواب في أموره، ولو كان الرسول يعمل في بعض آرائكم ويقبل منكم ما تقولون فيكون في كثير من أمور الشدّة والمشقّة بطاعته إيّاكم، لو أطاعكم، ولكنّ اللَّه حبّب إليكم باللَّه ورسوله فأنتم تطيعون اللَّه ورسوله وتأتمنون به، فيقيكم اللَّه بذلك من العنت ما لم تطيعوه وتتّبعوه))[٣].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. فـ((هؤلاء يعتبرون عملهم المذبذب هذا نوعًا من الشطارة والدَّهاء، يُخادعون اللَّه والذين آمنوا بينما لا يشعر هؤلاء أنَّهم يسيئون بعملهم هذا إلى أنفسهم، ويبدِّدون بانحرافهم هذا طاقاتهم، ولا يجنون من ذلك إلَّا الخسران والعذاب الإلهي، وما يخدعون إلَّا أنفسهم وما يشعرون))[٤].

(١) الكافي: ٢/ ١٢٥.
(٢) م. ن: ٢/ ١٢٥، وينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٥/ ١٠٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢١ / ٣٥٥.
(٤) الأَمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل: ١/ ٩٤.

((﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ في السرِّ وصدقنا بإيماننا باللَّه ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وبالبعث بعد الموت الذي فيه جزاء الأعمال ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ في السرِّ ولا مصدِّقين في إيمانهم))[1].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[التوبة:٢٣]:

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((سألته عن هذه الآية ﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾، فإنَّ الكفر في الباطن في هذه الآية الأوَّل والثَّاني، وهو كفر، وقوله على الإيمان فالإيمان ولاية عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فمَن يتولَّهم منكم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾))[2].

وفي سبب نزول هذه الآية ((رُوِي عن أَبي جعفر وأَبي عبد اللَّه عليهما السلام أنَّها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة؛ إذ كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبيّ صلى الله عليه وآله لمَّا أراد فتح مكَّة، المعنى، ثمَّ نهى اللَّه سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين وإن كانوا في النَّسب الأقربين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، وهذا في أمر الدين فأمَّا في أمر الدُّنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]، قال ابن عبَّاس: لمَّا أَمر اللَّه تعالى المؤمنين بالهجرة وأَرادوا الهجرة، فمنهم من تعلَّقت به زوجته، ومنهم من تعلَّق به أَبواه وأَولاده، فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأَجلهم فبيَّن سبحانه أنَّ أمر الدِّين مقدَّم على النَّسب، وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبيُّ أولى ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ أَي: إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان. قال الحسن: مَن تولَّى الشرك فهو مشرك، وهذا إذا كان راضيًا بشركه، ﴿وَمَن

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٤.

(٢) تفسير العياشي: ٢/ ٨٤.

﴿يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ فترك طاعة اللَّه لأَجلهم وأَطلعهم على أسرار المسلمين، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ نفوسهم والباخسون حقَّها من الثواب؛ لأَنَّهم وضعوا الموالاة في غير موضعها؛ لأَنَّ موضعها أهل الإِيمان))[١].

((يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتَّخذوا آباءكم وإِخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أَسراركم وتطلعونهم على عورة الإِسلام وأَهله، وتؤثرون المكث بين أَظهرهم على الهجرة إِلى دار الإِسلام إِن استحبُّوا الكفر على الإِيمان، يقول: إِن اختار الكفر باللَّه على التصديق به والإِقرار بتوحيده، ومَن يتولَّهم منكم، يقول: ومَن يتَّخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقامة وآثر المقام معهم على الهجرة إِلى رسول اللَّه ودار الإِسلام فأَولئك هم الظالمون، فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أَمر اللَّه ووضعوا الولاية في غير موضعها، وعصى اللَّه في أَمره وعصى اللَّه، وقيل: إِنَّ ذلك نزل نهيًا من اللَّه للمؤمنين عن موالاة أَقربائهم الذين لم يهاجروا من أَرض الشرك إِلى دار الإِسلام))[٢].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠]:

يذهب السيِّد الطباطبائي إِلى ((أَنَّ هذه الآيات تستثني ممَّن كفر بعد إِيمانه، وقوبل بنفي مغفرة والهداية وهي مع ذلك تنفي قبول توبة مَن ازداد كفرًا بعد الإِيمان، فصدر الآيات في مَن كفر بعد الإِيمان والشهادة بحقِّيَّة الرسول وظهور الآيات البيِّنات، فهو ردَّة عنادًا ولجاجًا والازدياد فيه لا يكون إِلَّا مع استقرار العناد والعتوِّ في قلوبهم وتمكين الطغيان والاستكبار في نفوسهم ولا يتحقَّق الرجوع والتوبة ممَّن هذا حاله عادة))[٣].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ١١/ ٣٨٢-٣٨٤.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ١١٣.

وجاء في زاد المسير ((﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثة أَقوال: أَحدها: أَنَّها نزلت في مَن لم يتب من أَصحاب الحارث بن سويد فإِنَّهم قالوا نقيم بمكَّة ونتربَّص بمحمَّد ريب المنون. والثَّاني: أَنَّها نزلت في اليهود الذين كفروا بعيسى والإنجيل ثمّ ازدادوا كفرًا بمحمّد والقرآن. والثَّالث: أَنَّها نزلت في اليهود والنصارى الذين كفروا بمحمَّد بعد إِيمانهم بصفته ثمَّ ازدادوا كفرًا بإقامتهم على كفرهم، وكلّما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرًا. وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أَقوال: أَحدها: أَنَّهم ارتدُّوا وعزموا على إِظهار التوبة لستر أَحوالهم والكفر في ضمائرهم. والثَّاني: أَنَّهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك ولم يتوبوا من الشرك. والثَّالث: أَنَّ معناه لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت. والرَّابع: لن تُقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر))[1].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمان فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]:

إِنَّ معنى الإِيمان في هذه الآية كما ورد في تفسير الإِمام العسكريِّ عليه السلام: ((﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾. بل تريدون يا كفَّار قريش واليهود ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ ما يقترحونه من الآيات التي لا تعلمون هل فيها صلاحكم أو فسادكم. ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾. مقترح عليه لما قيل له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة:٥٥]. ومَن يتبدَّل الكفر بالإِيمان بعد جواب الرَّسول له إِنَّ ما سأَله لا يصلح اقتراحه على اللَّه، وبعد ما يظهر اللَّه تعالى له ما اقترح إِن كان صوابًا، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمان﴾ بأَن لا يؤمن عند مشاهدة ما يقترح من الآيات أَو لا يؤمن إِذا عرف أَنَّه ليس له أَن يقترح، وأَنَّه يجب أَن يكتفي بما قد أَقامه اللَّه تعالى من الدَّلالات وأَوضحه من الآيات البيِّنات، فيتبدَّل الكفر

(١) زاد الميسر في علم التفسير: ١/ ٣٠٢.

بالإيمان بأَن يعاند ولا يلتزم الحجَّة القائمة عليه، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أَخطأَ قصد الطَّريق المؤدِّية إِلى الجنان، وأَخذ في الطريق المؤدِّية إِلى النيران))[1]. فلا يجوز للإنسان أن يقترح أحكامًا في قبال المشرِّع، ومن يفعل ذلك فإنَّه يخالف الإيمان بوصفه التسليم المطلق للَّه تعالى.

فضلًا عمَّا تقدَّم فإنَّ الله تعالى ينكر تعالى على من ((يسأل الرسول ﷺ من المؤمنين سؤال تعنَّت واعتراض على شرعه وإِنَّما يكون هذا من المنافقين الذين يُظهرون الإِيمان، وهم بخلاف ما يُظهرون وقد ذُكروا في أَوَّل السُّورة، وأَنَّهم بذلك يشبهون بني إِسرائيل في تعنُّتهم على موسى عليه السلام كما في قصَّة البقرة، وذكر ذلك في الآية يشعر بوقوعه وأَنَّه سبب نزول الآية، وما يبيِّن اللَّه تعالى من سلك التي قد يفضي بصاحبه إِلى الكفر أَو هو كفر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمان فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أَي: من يشتري الكفر بالإِيمان فيتعوَّض عن الإِيمان بالكفر فقد ظلَّ سواء السَّبيل، أَي: أَخطأَ سبيل اللَّه وذهب عنه إِلى سبل الغيِّ والفساد وأَم في قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ هي المنقطعة فهي بمعنى بل، والمراد بقوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ محمَّد ﷺ والرَّسول يضاف إِلى مرسله وإِلى مَن أَرسله إِليه، ونزل لمَّا سأَله أَهل مكة أَن يوزِّعها ويجعل الصفا ذهبًا أَم بل تريدون أَن تسأَلوا رسولك على موسى، أَي: سأَله قومه من قبل من قولِهم أَرِنا اللَّه جهرة وغير ذلك، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمان﴾، أَي: يأَخذه بدله بترك النظر في الآيات البيِّنات واقتراح غيرها، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أَخطأَ الطريق الحقَّ والسوء في العاقبة))[2].

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٧].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٤٩٦.

(٢) التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين:١/ ٢٣٥-٢٣٦.

وسياق الآية فيما قبلها يظهر فيه تكرار التوكيد، وهو ((إِمَّا أَن يكون تكريرًا لذكرهم؛ للتأكيد والتسجيل عليهم بما أَضاف إِليهم، وإِمَّا أَن يكون عامًّا للكفَّار، الأَوَّل خاصٌّ في مَن نافق من المتخلِّفين أَو ارتدَّ عن الإِسلام، أَو على العكس شيئًا نُصب على المصدر؛ لأَنَّ المعنى شيئًا من الضرر، وبعض الضرر الذين كفروا في مَن قرأ بالتاء نصب))[1]، وعلى أساس هذا التفسير يكون المعنى ((أَي من سوء تدبيرهِ استبدال الإِيمان بالكفر وبيعه به فلا يخاف جانبه ولا تدبيره، منتصب شيئًا في الموضعين؛ لوقوعه موقع المصدر كأَنَّه قال: لن يضرُّوا اللَّه ضررًا قليلًا ولا كثيرًا، ويجوز انتصابه على تقدير حذف الباء كأَنَّه قال: لن يضرُّوا اللَّه بشيء))[2].

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٦]:

ولو تأمَّلنا في هذه الآية ولا سيَّما في قوله تعالى: ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ فإنَّ معنى الإيمان هو ((اليقين والالتزام بمقتضاه، إِنَّ العلم بمعنى اليقين باللَّه وبآياته والإِيمان بمعنى الالتزام بمقتضى اليقين من الموهبة الإِلهية، ومن هنا يظهر أَيضًا أَنَّ المراد بكتاب اللَّه الكتب السماوية أَو خصوص القرآن لا غيره، وقول بعضهم: إِنَّ في الآية تقديمًا وتأخيرًا والتقدير: وقال الذين أُوتوا العلم والإِيمان في كتاب اللَّه لقد لبثتم إِلى يوم البعث، لا يعتدَّ به))[3]، أَمَّا قوله تعالى: ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ فقد اُختُلِف فيه ((فقيل: الملائكة، وقيل: الأَنبياء، وقيل: علماء الأُمم، وقيل: مؤمنو هذه الأُمَّة، وقيل: جميع المؤمنين أَن يقول المؤمنون للكفَّار ردًّا عليهم: لقد لبثتم في قبوركم إِلى يوم البعث، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير،

(١) الكشَّاف: ١/ ٦٦٣.
(٢) الجامع لأَحكام القرآن: ٤/ ٢٨٦.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٢٠٦.

أَي: قال الذين أُوتوا علم في كتاب اللَّه والإِيمان لقد لبثتم إِلى يوم البعث))[1].

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]:

مضمون هذه الآية الكريمة يشير إلى العلاقات التي يجب أن ينتظم عليها المجتمع على وفق المسار القرآني، ((إنَّ المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإِسلام بهدى القرآن مجتمع له أَدب رفيع، ولكلِّ فرد فيه كرامته التي لا تمسُّ. وهي من كرامة المجموع. ولمز أَيِّ فرد هو لمز لذات النَّفس؛ لأَنَّ الجماعة كلَّها وحدة، كرامتها واحدة.

والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وينهاهم أَن يسخر قوم بقوم، أَي: رجال برجال، فلعلَّهم خير منهم عند اللَّه، أَو أَن يسخر نساء من نساء فلعلَّهنَّ خير منهنَّ في ميزان اللَّه. وفي التعبير إِيحاء خفيذ بأَنَّ القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أَنفسهم ويراها النساء في أَنفسهنَّ ليست هي القيم الحقيقيَّة، التي يوزن بها الناس فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها اللَّه، ويزن بها العباد.

وقد يسخر الرَّجل الغني من الرَّجل الفقير، والرَّجل القوي من الرَّجل الضعيف، والرَّجل السويِّ من الرَّجل المئوف. وقد يسخر الذكيُّ الماهر من الساذج الخام. وقد يسخر ذو الأَولاد من العقيم. وذو العصبيَّة من اليتيم، وقد تسخر الجميلة من القبيحة، والشابة من العجوز، والمعتدلة من المشوَّهة، والغنيَّة من الفقيرة. ولكنَّ هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان اللَّه

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٤٨.

يرفع ويخفض بغير هذه الموازين! ولكنَّ القرآن لا يكتفي بهذا الإيحاء؛ بل يستجيش عاطفة الأُخوَّة الإيمانية، ويذكِّر الذين آمنوا بأَنَّهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزها: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾. واللمز: العيب. ولكنَّ للفظة جرسًا وظلًّا؛ فكأَنَّما هي وخزة حسيَّة لا عيبة معنوية! ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أَصحابها، ويحسُّون فيها سخريَّة وعيبًا. ومن حقِّ المؤمن على المؤمن ألَّا يناديه بلقب يكرهه ويزري به - ومن أَدب المؤمن ألَّا يؤذي أَخاه بمثل هذا))[1].

وأمَّا الطبري فيرى ((أَنَّ ذكره ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ﴾ صدقوا اللَّه ورسوله لا يهزأُ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين لعلَّ المهزوء منهم خير من الهازئين، ولا يهزأُ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات عسى المهزوء منهنَّ أَن يكنَّ خيرًا من الهازئات، واختلف أَهل التأويل في السخرية التي نهى اللَّه المؤمنين عنها في هذه الآية؛ فقال بعضهم: هي سخريَّة الغنيِّ من الفقير، نهي أَن يسخر من الفقير؛ لفقره. وقال آخرون: بل ذلك نهي من اللَّه من ستر عليه من أَهل الإيمان أَن يسخر ممَّن كشف في الدنيا ستره منهم. والصواب من القول في ذلك عندنا أَن يقال: أَنَّ اللَّه عمَّ بنهيه المؤمنين أَن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلُّ لمؤمن أَن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا لذنب ركبه ولا لغير ذلك))[2].

الآية التاسعة: قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]:

معنى الآية: ((قيل: إِنَّها نزلت في أَعراب بني أَسد قالوا آمنَّا أَوَّل ما دخلوا في الإِسلام، ومنُّوا على رسول اللَّه ﷺ، قالوا: يا رسول اللَّه أَسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، فأَراد اللَّه أَن يعلِّمهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم، وهم يقولون هذا

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٣٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢١/ ٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦.

القول، وأَنَّهم دخلوا في الإِسلام استسلامًا، ولم تصل قلوبهم بعد إِلى مرتبة الإِيمان، فدلَّ بهذا على أَنَّ حقيقة الإِيمان لم تستقرَّ في قلوبهم ولم تشر بها أَرواحهم، ومع هذا فإِنَّ كرم اللَّه اقتضى أَن يجزيهم على كلِّ عمل صالح يصدر منهم لا ينقصهم منه شيء، فهذا الإِسلام الظاهر الذي لم يخالط القلب فيستحيل إِيمانًا واثقًا مطمئنًّا، وأَنَّ اللَّه أَقرب إِلى المغفرة والرحمة، فيقبل من العبد أَوَّل خطوة ويرضى منه الطاعة والتسليم إِلى أَن يستشعر قلبه بالإِيمان والطمأنينة، ثمَّ يبيِّن لهم حقيقة الإِيمان))[1].

يقول الطَّبري في معرض تفسيره للآية: ((قالت الأَعراب صدَّقنا باللَّه ورسوله فنحن مؤمنون، قال اللَّه لنبيِّه محمَّدﷺ: قل يا محمَّد لهم: لم تؤمنوا ولستم مؤمنين، ولكن قولوا أَسلمنا؛ لأَنَّ الإِسلام قول، والإِيمان قول وعمل، وذكر أَنَّ هذه الآية نزلت في أَعراض بني أَسد، وقال آخرون: قيل ذلك لهم لأَنَّهم منُّوا على رسول اللَّه بإِسلامهم، فقال اللَّه لنبيِّهﷺ: قل لهم: لم تؤمنوا ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل، ولم تعمَّ هذه الآية الأَعراب. إِنَّ من الأَعراب من يؤمن باللَّه واليوم الآخر، ويتَّخذ ما ينفق قربات عند اللَّه؛ ولكنَّها طوائف من الأَعراب))[2].

الآية العاشرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]:

أخذت لفظة (المقت) مركزيَّةً في الآية الكريمة، وهي ((أَشدُّ البغض لمَّا ذكَّر المؤمنين ببعض ما لهم من جهة إِيمانهم، رجع إِلى ذكر الكافرين ببعض ما عليهم من جهة كفرهم، وظاهر الآية والآية التالية أَنَّ هذا النداء المذكور فيها إِنَّما يُنادَون به في الآخرة بعد دخول النَّار حين يذوقون العذاب لكفرهم، فيظهر لهم أَنَّ كفرهم في الدنيا؛ إِذ كانوا يُدعَون من قبل الأَنبياء إِلى الإِيمان كان مقتًا وشدَّة بغض منهم لأَنفسهم حيث أَوردوها بذلك مورد الهلاك الدائم، وينادون من جانب اللَّه سبحانه

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٤٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢١/ ٣٨٨-٣٩٠.

فيقال لهم أَقسم لمقت اللَّه وشدَّة بغضه لكم أَكبر من مقتكم أَنفسكم وشدَّة بغضكم لها؛ إذ تدعون حكاية حال ماضية إلى الإيمان من قبل الأَنبياء فتكفرون))[١].

الآية الحادية عشرة: قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:٨٦] ممَّا ورد في تفسير هذه الآية ((قال الحسن: نزلت هذه الآية في أَهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعثه بما يجدونه في كتبهم من صفاته ودلائله، فلمَّا بعثه اللَّه جحدوا ذلك وأَنكروه، وقال مجاهد والسدِّي: نزلت في رجل من الأَنصار يقال له الحارث بن سويد ارتدَّ عن الإسلام، ثمَّ تاب وحسن إسلامه، فقبل اللَّه إسلامه بقلبه، إلَّا الذين تابوا فيما بعد تمام الآية، وكذلك رويناه عن أَبي عبد اللَّه عليه السلام، وقيل نزلت في قوم أَرادوا من النبي صلى الله عليه وآله أَن يحكم لهم بالإسلام وفي قلوبهم الكفر، فأَطلعه اللَّه على إسرارهم وما في ضمائرهم، وليس في الآية ما يدلُّ على صحَّة الإحباط للإيمان ولا إحباط المستحقِّ عليه من الثواب؛ لأَنَّه لم يجر لذلك ذكر، وقوله كفر وبعد إيمانهم يعني بعد إظهارهم للإيمان وشهادتهم أَنَّ الرسول حقٌّ وإن كانوا في باطنهم منافقين، وليس في أَنَّهم كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقِّين للثُّواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلِّق بذلك في صحَّة الإحباط))[٢].

أَمَّا سبب نزول الآية فإنَّها ((نزلت في الحارث بن أَوس بن الصامت فإنَّه ارتدَّ عن الإسلام ولحق بمكَّة، وأَقام مدَّة، ثمَّ أَرسل إلى المسلمين في أَن يرجع إلى الإسلام، فنزلت الآية ﴿كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾، قال الزجَّاج: يعني أَنَّهم يستحقُّون الضلالة ولا يستحقُّون الهداية، واللَّه لا يهدي القوم الظالمين))[٣].

الآية الثانية عشرة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٣١٢.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٥٢٣.

(٣) تفسير السمعاني: ١/ ٣٣٨.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١]: ورد عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: ((الذين آمنوا بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وذريَّته، وألحقنا بهم ولم تنقص ذريَّتهم الحجَّة التي جاء بهم محمَّد صلى الله عليه وآله في عليٍّ عليه السلام، وحجَّتهم واحدة وطاعتهم واحدة، وفي حديث آخر: أمَّا أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين فيلحقون بآبائهم، وهو قول اللَّه عزَّ وجلَّ في ﴿بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾))[١]. و((يحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه ويشفِّع اللَّه تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء:١١]، وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحد عمل أحد، وأجمعوا أنَّه لا يصلِّي أحد عن أحد ولم يجز مالك الصيام والحجِّ والصدقة عن الميِّت إلَّا أنَّه قال: إن أوصى بالحجِّ ومات جاز أن يحجَّ عنه))[٢].

الآية الثالثة عشرة: قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

معنى الآية: اُختُلِف في تقديره فقيل: إنَّ تقديره وتلخيص معناه مَن كفرَ باللَّه بأن يرتدَّ عن الإسلام، وشرح بالكفر صدرًا فعليهم غضبٌ من اللَّه، ولهم عذابٌ أليم إلَّا من أُكره فتكلَّم بكلمة الكفر على وجه التقيَّة مُكرهًا، أي: ساكن ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك، وقيل: إنَّه يتَّصل بما تقدَّم، فمعناه إنَّما يفتري الكذب من كفر باللَّه من بعد إيمانه، ثمَّ استثنى من ذلك من أُكره على ذلك، وكان مطمئنَّ القلب إلى الإيمان في باطنه فإنَّه بخلاف مَن اتَّسع قلبه للكفر وطابت نفسه به، ولهم العذاب في الآخرة، إذ أشار سبحانه إلى العذاب العظيم؛ لأنَّهم آثروا بالحياة الدُّنيا والتلذُّذ فيها

(١) تفسير نور الثقلين: ٧/ ١٥٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ١١٤.

والركون إليها، عنى بذلك أنَّهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبًا لها دون طلب الآخرة[١].

وكذلك من كفر باللَّه من بعد إيمانه، أي: تلفَّظ وتكلَّم بالكفر أو فعل الكفر سواء كان مختارًا في ذلك أو مكرهًا عليه، فالاستثناء في قوله إلَّا من أُكره وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان، قال القرطبي: أجمع المفسِّرون وأهل العلم على أنَّ من أُكره على الكفر حتَّى خشي على نفسه القتل، إنَّه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئنَّ بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يُحكم عليه بحكم الكفر[٢].

بعد هذا العرض لآيات القرآن الكريم التي تضمَّنت الإيمان وبيان معناه، يمكن الوصول إلى أنَّ الإيمان في القرآن الكريم ليس اعتقادًا قلبيًّا فحسب؛ بل هو منظومة متكاملة تشمل التصديق، والعمل، والالتزام، والموقف السلوكي من القيم والعقائد. وقد أكَّد القرآن الكريم في مواطن كثيرة على أنَّ الإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، وهو نعمة من اللَّه يُحبِّبها إلى عباده الصالحين كما في قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧]. وبيَّن أهل البيت عليهم السلام أنَّ جوهر الإيمان هو الحبُّ في اللَّه والبغض في اللَّه، وأنَّ الإيمان لا ينفصل عن الموالاة لأولياء اللَّه.

ثمَّ حذَّر القرآن من الإيمان الظاهري والنفاق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، موضِّحًا أنَّ هذا الادِّعاء الكاذب لا يُجدي نفعًا أمام اللَّه. ويحذِّر القرآن أيضًا من الارتداد عن الإيمان بعد التصديق، كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران٩٠]، وهذا يدلُّ على خطورة الانتكاس في العقيدة والتَّمادي في الكفر بعد الإيمان. وكذلك يظهر في نصوصٍ كثيرةٍ أنَّ

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ١٥٥.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٧/ ٣١٩.

الإيمان ليس كلمات تُقال فحسب؛ بل يجب أن يدخل إلى القلوب ويترسَّخ فيها، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].

المطلب الثَّاني: الإيمان في مرويَّاتِ أهلِ البيتِ عليهم السلام

نعرض في هذا المطلب مفهوم الإيمان كما ورد في روايات أَهلِ البيتِ عليهم السلام، إذ يُقدَّم الإيمان بوصفه منظومةً متكاملةً تشمل القول والعمل، وتنبع من القلب وتُترجم على الجوارح، وتُبيِّن الأَحاديث أَنَّ الإيمان ليس ادِّعاءً فقط؛ بل هو حالة قلبيَّة وسلوك عملي يظهر في حياة الإنسان. وهناك كثير من الأَحاديث الشريفة عن الإيمان، سيورد البحث بعضًا منها؛ تجنُّبًا الإطالة:

الحديث الأَوَّل: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: و((أَفضل الإيمان أَن تحبَّ للَّه وتبغض للَّه، وتعمل لسانك في ذكرِ اللَّه عز وجل، وأَن تحبُّ للنَّاس ما تحبُّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقولَ خيرًا أو تصمت))[1].

المعنى: يوضِّح هذا الحديث أَنَّه لا بدَّ للمؤمن أَن يحبَّ في اللَّه ويبغض في اللَّه، حتَّى ينال شفاعة اللَّه سبحانه وتعالى، وكذلك يُعوِّد لسانه على ذكر اللَّه بالصلاة والاستغفار وغيرها من الذكر لِلَّه، ويجب أَن يُحبَّ للناس من خيرٍ ورزقٍ وعافية، مثل ما يُحبُّ لنفسه، ويكره لهم أَيَّ شيءٍ لا يُريده لنفسه، ولا يتمنَّاه لنفسه، وإِذا تكلَّم إِمَّا أَن يقول شيئًا فيه خير للناس أَو يصمت؛ حتَّى لا يؤذي الآخرين.

الحديث الثاني: قال صلى الله عليه وآله: ((أَفضل الإيمان خلق حسن))[2].

المعنى: أَي: ينبغي للمؤمن أَن يحسِّن خلقه، وأَن يجتهد في ذلك، ويعالج أَمره حتَّى يكون حسن الخلق وطيِّب الكلام مع إِخوانه، وقد ((سُئِل الإِمام عليٌّ عليه السلام

(١) ميزان الحكمة: ١/ ١٩٨.
(٢) م.ن: ١/ ١٩٨.

عن الإيمان، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: الإيمان معرفةٌ بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان))[1]. إنَّ مقوِّمات الإيمان ثلاثة: المعرفةُ، وإظهار ما يعرفه من معتقدات على لسانه ولا سيَّما الشهادتين، وطاعة اللَّه في أركان الشريعة المقدَّسة.

ورُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قال: ((عشرون خصلة في المؤمن، فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه؛ إنَّ من أخلاق المؤمنين يا عليُّ الحاضرون الصَّلاة، والمسارعون إلى الزَّكاة، والمطعمون المساكين، الماسحون رأس اليتيم، المطهِّرون أطمارهم، المتَّزرون على أوساطهم، الذين إن حدَّثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا تكلَّموا صدقوا، رهبان بالليل، أُسد بالنهار، صائمون النَّهار، قائمون الليل، لا يؤذون جارًا، ولا يتأذّى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هونًا، وخطاهم إلى بيوت الأرامل، وعلى أثر الجنائز، جعلنا اللَّه وإيَّاكم من المتَّقين))[2].

وعن أبي الصَّلت الهروي قال: ((سألت الرضا عليه السلام عن الإيمان، فقال عليه السلام: الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالجوارح، ولا يكون الإيمان إلَّا هكذا))[3]، و((قلت: يا أمير المؤمنين، ما الإيمان؟ قال: الإيمان: إقرار بالمعرفة. قلت: الإيمان الإقرار بعد المعرفة به؟ قال: من عرَّفه اللَّه نفسه ونبيَّه وإمامه. ثمَّ أقرَّ بطاعته، فهو مؤمن))[4]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتَّى يحبَّ أبعد الخلق منه في اللَّه، ويبغض أقرب الخلق منهم في اللَّه))[5].

الحديث الثالث: قال الإمام الباقر عليه السلام: ((لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتَّى

(١) بحار الأنوار: ٦٦/ ٦٨.
(٢) الكافي: ٢/ ٢٢٢.
(٣) معاني الأخبار: ١٨٦.
(٤) كتاب سليم بن قيس: ١٧٣.
(٥) تحف العقول: ٣٦٩.

يكونَ فيه ثلاث خصال؛ حتَّى يكون الموت أَحبَّ إِليه من الحياة، والفقر أَحبَّ إِليه من الغنى، والمرض أَحبَّ إِليه من الصحَّة))[١].

المعنى: إِنَّ حقيقة الإِيمان هو حبُّ أَهل البيت عليهم السلام والتزام طاعتهم والتبرِّي من أَعدائِهم، فعن سلام الجعفي قال: ((سألت أَبا عبد اللَّه عليه السلام عن الإِيمان، فقال: الإِيمان أَن يطاع اللَّه، ولا يعصى))[٢]. وقال المحقِّق الطوسي: الإِيمان هو التصديق بالقلب والاعتبار بما يجري على اللسان، وكلُّ من كان عارفًا باللَّه وبنبيِّه صلى الله عليه وآله، وبكلِّ ما أوجب اللَّه عليه معرفته، مقرًّا بذلك مصدِّقًا به فهو مؤمن))[٣].

قال السيِّد المرتضى: ((الإِيمان هو التصديق بالقلب بكلِّ ما يجب التصديق به، وقيل: تصديق الرَّسول بكلِّ ما علم مجيئه به))[٤]. فهو الاعتقاد بوحدانيَّة اللَّه تعالى والآخرة ورسالة النبيِّ الخاتم محمَّد المصطفى صلى الله عليه وآله، على أَنَّ الإِيمان برسالة النبيِّ الخاتم يشمل الإِيمان بنبوَّة الأَنبياء السابقين عليه، والكتب السماويَّة السابقة، وما أُوتي به نبيُّ الإِسلام من تعاليم وأَحكام إِسلاميَّة للبشر من جانب اللَّه أَيضًا، وأَنَّ المكان الواقعي والحقيقي للإِيمان هو قلب الإِنسان وفؤَاده[٥]، بحسب ما يقول القرآن الكريم: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة:٢٢].

الحديث الرَّابع: عن أَبي بصير عن أَبي جعفر عليه السلام في حديث ((أَنَّه قال له: إِنَّ خيثمة أَخبرنا: أَنَّه سأَلك عن الإِيمان، فقلت: الإِيمان باللَّه والتصديق بكتاب اللَّه وأَن لا يُعصى اللَّه. فقال: صدق خيثمة. وعن أَبي عبد اللَّه عليه السلام في حديث قال: مَن أَقرَّ بدين اللَّه، فهو مسلم، ومَن عمل بما أَمر اللَّه فهو مؤمن))[٦].

(١) معاني الأخبار: ١/ ١٨٩.
(٢) الكافي: ٢/ ٣٣.
(٣) الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: ١٤٠.
(٤) رسائل المرتضى: ٢/ ٢٦٢.
(٥) ينظر: العقيدة الإسلامية على ضوء أهل البيت عليهم السلام: ٢٥٩.
(٦) وسائل الشيعة: ١٥/ ١٦٨.

وعن أَمير المؤمنين عليه السلام قال: ((وأَمَّا الإيمان والكفر والشرك وزيادته ونقصانه، فالإيمان باللَّه تعالى هو أَعلى الأَعمال درجة، وأَشرفها منزلة، وأَثناها حظًّا. فقيل له: الإيمان قول وعمل أَم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأَركان، وهو عمل كلُّه ومنه التام ومنه الكامل تمامه ومنه الناقص البيِّن نقصانه، ومنه الزائد البيِّن زيادته، إنَّ اللَّه تعالى ما فرض الإيمان على جارحة من جوارح الإنسان إلَّا وقد وكَّلت بغير ما وكَّلت به الأَخرى، فمنها قلبه الذي يعقل به ويفقه ويفهم ويحلُّ ويعقد ويريد، وهو أَمير البدن وإمام الجسد الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلَّا عن رأَيه وأَمره ونهيه، ومنها عيناه اللَّتان يبصر بهما، ومنها يداه اللتان يبطش بهما، ومنهما رجلاه اللتان يسعى بهما، ومنهما فرجه الذي أَلباه من قبله، ومنها رأسه الذي فيه وجهه، وليس جارحة من جوارحه إلَّا وهي مخصوصة بفرضه، وفرض على القلب غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على البصر، وفرض على البصر، غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، وفرض على الوجه غير ما فرض على اللسان، فأَمَّا ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد عليه، والرِّضا بما فرضه عليه والتسليم لأَمره، والذكر والتفكُّر والانقياد إلى كلِّ ما جاء عن اللَّه عزَّ وجلَّ في كتابه، مع حصول المعجز، فيجب عليه اعتقاده وأن يظهر مثل ما أبطن إلَّا للضَّرورة، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٣]، ومثل هذا كثير في كتاب اللَّه تعالى وهو رأس الإيمان، وأَمَّا ما فرضه على اللسان في معنى التعبير لما عقد به القلب وأقرَّ به، فقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة:١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء:١٧٩]، فأمر سبحانه بقول الحقِّ ونهى عن قول الباطل))[١].

وأَمَّا ما فرضه على الأُذنين فالاستماع لذكر اللَّه والإنصات إلى ما يُتلى من كتابه وترك الإصغاء إلى ما يسخطه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء:١٤٠]، ((وفي كتاب اللَّه تعالى ما معناه معنى ما فرض اللَّه سبحانه على السمع وهو الإيمان، وأَمَّا ما فرض على العينين فمنه النظر إلى آيات اللَّه تعالى، وغضُّ البصر عن محارم اللَّه))[٢].

الحديث الخامس: عن محمَّد بن مسلم ((عن أَبي عبد اللَّه عليه السلام قال: سألته عن الإيمان، فقال: ((شهادة أَن لا إله إِلَّا اللَّه والإقرار بما جاء من عند اللَّه، وما استقرَّ في القلوب من التصديق بذلك. قال: قلت: الشهادة أَليست عملًا؟ قال: بلى. قلت: العمل من الإيمان؟ قال: نعم، الإيمان لا يكون إِلَّا بعمل، والعمل منه ولا يثبت الإيمان إِلَّا بعمل))[٣].

المعنى: يوضِّح لنا الإمام الصادق عليه السلام بأَنَّ العمل جزء الإيمان، ولا يثبت الإيمان إِلَّا بعمل.

وعن ((جعفر بن محمَّد عن أَبيه عليهما السلام قال: قال: رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: الإيمان قول وعمل أَخوان شريكان))[٤]، وعن هشام بن سالم ((عن أَبي عبد اللَّه عليه السلام قال:

(١) بحار الأنوار: ٦٦/ ٧٥.
(٢) م. ن: ٦٦/ ٧٨-٧٩.
(٣) م.ن: ٦٦/ ٢٢.
(٤) م.ن: ٦٦/ ٦٦.

لقى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله يومًا حارث بن النعمان الأَنصاري فقال له: كيف أَصبحت يا حارثة؟ قال: أَصبحت يا رسول اللَّه مؤمنًا حقًّا. قال: إِنَّ لكلِّ إِيمان حقيقة، فما حقيقة إِيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وأَسهرت ليلي، وأَظمأَت نهاري، فكأَنِّي بعرش ربِّي وقد قرب للحساب، وكأَنِّي بأَهل الجنَّة فيها يتراودون وأَهل النَّار فيها يتعذَّبون. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: أَنت مؤمن، نوَّر اللَّه الإِيمان في قلبك، فاثبت ثبَّتك اللَّه. فقال له: يا رسول اللَّه، ما أَنا على نفسي من شيء أَخوف منِّي عليها من بصري، فدعا له رسول اللَّه صلى الله عليه وآله فذهب بصره))[1].

يتَّضح لنا من مرويَّات أَهل البيت عليهم السلام أَنَّ الإِيمان مفهوم شامل لا يقتصر على التصديق النظري؛ بل يمتدُّ ليشمل العمل والسلوك والانقياد التام لِلَّه تعالى. وهو درجات يتفاوت فيها النَّاس بحسب صدقهم وإِخلاصهم والتزامهم العملي، ممَّا يجعل الإِيمان قضيَّة قلبيَّة وسلوكيَّة متكاملة.

(١) معاني الأخبار: ١٨٧.

الخاتمة:

بعد هذا العرض لمفهوم الإيمان، يمكن الخلوص إلى جملةٍ من النتائج الرئيسة:

١. تبيَّن أَنَّ الإيمان في معناه اللغوي يتركز حول الأَمن والتصديق، وقد تطوَّر في الاصطلاح ليشمل تصديق القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح عند الجمهور، مع تأكيد مدرسة الإمامية على أنَّ الإمامة ركن أساسي من أركان الإيمان.

٢. اتَّضح أنَّ مسألة زيادة الإيمان ونقصانه تشكِّل محور خلاف كلامي؛ إذ يرى الجمهور (باستثناء بعض الفرق) أنَّ الإيمان يزيد وينقص بحسب الطاعات والمعاصي، على حين تؤكِّد روايات أهل البيت عليهم السلام وجود مراتب للإيمان (مستقر، مستودع، كسبي)، وهذا ما يفسِّر تفاوت الثَّبات القلبي بين الأَفراد.

٣. أنَّ النصَّ القرآني وكلام أَهل البيت عليهم السلام قدَّما تصوُّرًا متكاملًا لمراتب الإيمان وتنوِّع تجلِّياته، ولذا فالإيمان في المنظور الإسلامي منظومة متكاملة تربط بين الاعتقاد الباطني والالتزام العملي والأَخلاقي، وأَنَّه نعمة إلهيَّة ومسؤوليَّة إنسانيَّة.

٤. أنَّ الإيمان في الرؤية القرآنيَّة والروائيَّة ليس تصديقًا ذهنيًّا أَو انتماءً شكليًّا فحسب، بل هو حقيقة مركَّبة تقوم على المعرفة القلبيَّة واليقين العملي، وتنعكس آثارها بصورةٍ مباشرةٍ في السلوك الفردي والاجتماعي.

٥. أنَّ ضعف الإيمان أَو زواله لا ينشأَ غالبًا عن سببٍ واحد؛ بل هو حصيلة تفاعل مجموعة من العوامل التي حذَّرت منها النصوص الشرعيَّة، وفي مقدَّمتها الانحراف العقدي، والغفلة عن القيم الإيمانيَّة، والانفصال بين الاعتقاد والعمل.

٦. أنَّ الشُّبهات المثارة حول الإيمان، على اختلاف صورها ومناشئِها، يمكن معالجتها معالجة علميَّة رصينة بالرُّجوع إلى المنهج القرآني والحديثي في الاستدلال والحجاج، بعيدًا عن الطَّرح الانفعالي أو التَّناول الوعظي المباشر.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- أجوبة الشبهات العقديَّة، مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، دار المعارف الإسلاميَّة والثقافيَّة، لبنان، ط١، ١٤٤٢ هـ.

٢- الاختصاص، أبو عبد اللَّه محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد، (ت٤١٣هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د. ط، د.ت.

٣- أَخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر (ت١٣٥٨هـ)، د. ط، د. ت.

٤- الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، ١٤٠٠ هـ.

٥- الأَمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل، ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي، د.ت.

٦- الإِيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٥، ٢٠٠٦ م.

٧- الإِيمان والكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع، عباس ذهبيات، مركز الرسالة، د. ط، د. ت.

٨- بحار الأَنوار الجامعة لدرر أَخبار الأَئِمَّة الأَطهار، أَبو عبد اللَّه محمد باقر بن محمد تقي مقصود علي الأَصفهاني المجلسي (ت١١١١هـ)، تح: إِبراهيم الميانجي ومحمَّد باقر البهبودي، دار إِحياء التُّراث العربي بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣ هـ.

٩- البرهان في تفسير القرآن، هاشم بن سلمان البحراني، (ت١١٠٧هـ)، تح: مؤسَّسة البعثة، مؤسَّسة الأَعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأَخيار في شرح جوامع الأَخبار، أَبو عبد اللَّه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد اللَّه بن ناصر بن حمد السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تح: عبد الكريم بن رسمي آل دريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١- البيان لما يشغل الأَذهان، علي جمعة، المقطَّم للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.

١٢- التبيان في تفسير القرآن، أَبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تح: أَحمد حبيب قيصر العاملي، دار إِحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٩ هـ.

١٣- تحف العقول عن آل الرسول، أَبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تح: علي أَكبر الغفاري، مؤسَّسة النشر الإِسلامي، قم، إِيران، ط٢، ١٤٦٣هـ.

١٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦ هـ)، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١.

١٥- التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين، عبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسَّسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، ط١، ١٤٤٢هـ.

١٦- تفسير الإِمام العسكري عليه السلام، المنسوب للإِمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، تح: مدرسة الإِمام المهدي عجل الله فرجه، مهر، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٧- تفسير السمعاني، أَبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أَحمد المروزي السمعاني (ت٤٨٩ هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨ هـ.

١٨- التفسير الصافي، محمد محسن بن مرتضى بن محمود الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، مكتبة الصدر، طهران، د. ط، د. ت.

١٩- تفسير العيَّاشي، محمَّد بن مسعود بن عيَّاش السلمي السمرقندي العيَّاشي (ت٣٢٠هـ)، تح: هاشم الرسولي المحلَّاتي، المكتبة العلمية الإِسلامية، طهران، د. ط، د. ت.

٢٠- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تح: علي عاشور، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، د. ت.

٢١- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد اللَّه بن عباس (ت٦٨هـ)، تح: مجد الدين أَبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ط، د. ت.

٢٢- التوحيد، أَبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: هاشم الحسيني الطهراني، مكتبة الصدوق، طهران، د. ط، ١٣٨٧ هـ.

٢٣- ثواب الأَعمال وعقب الأَعمال، أَبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّي الصدوق (ت٣٨١هـ)، مطبعة أمير، قم، إِيران، ط٢، ١٣٦٨هـ.

٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أَبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تح: عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإِسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٥- الجامع لأَحكام القرآن، أَبو عبد اللَّه محمد بن أَحمد الأَنصاري القرطبي، تح: أَحمد البردوني وإِبراهيم أَطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٢٦- دحضًا للشبهات وانتصارًا للإيمان والإِسلام، خالد كبير، الجزائر، د. ط، ٢٠١٦ م.

٢٧- الذَّريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ)، تح: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٣٩٣ هـ.

٢٨- رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تح: أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم، إيران، د. ط، ١٤٠٥ هـ.

٢٩- زاد الميسر في علم التفسير، جمال الدين أَبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧ هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أَبو نصر إِسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أَحمد عبد الغفار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٣١- العقيدة الإِسلامية على ضوء أَهل البيت عليهم السلام، جعفر السبحاني، تح: جعفر الهادي، مطبعة اعتماد، قم.

٣٢- العين، أَبو عبد الرحمن الخليل بن أَحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي و د. إِبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠ هـ.

٣٣- فتح البيان في مقاصد القرآن، أَبو الطيِّب محمد صدِّيق خان بن حسن بن علي بن لطف اللَّه الحسيني البخاري القهوجي (ت ١٣٠٧هـ)، تح: عبد اللَّه بن إِبراهيم الأَنصاري، المكتبة العصرية للطباعة، والنشر، صيدا، بيروت، د. ط.

٣٤- فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدِّين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٢٢٧ هـ)، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٣٥- في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٢، ١٤٢٣هـ.

٣٦- القاموس المحيط، مجد الدين أَبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسَّسة الرسالة، مؤسَّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ.

٣٧- قواعد المرام في علم الكلام، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٩٩ هـ)، تح: أَحمد الحسيني، مطبعة الصدر، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

٣٨- الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إِسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ)، علّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإِسلامية، طهران.

٣٩- كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس (ت٦٧هـ)، تح: محمَّد باقر الأَنصاري، دار الإرشاد الإِسلامي، بيروت، د.ت.

٤٠- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأَقاويل في وجوه التأويل، أَبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح: عادل أَحمد عبد الموجود وعلي محمد معوِّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٤١- كمال الدين وتمام النعمة، أَبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمِّي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: علي أَكبر الغفاري، مؤسَّسة النشر الإِسلامي، إِيران، قم، د. ت.

٤٢- لسان العرب، محمَّد بن مكرم بن علي أَبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، د.ت، أَدب الحوزة، قم.

٤٣- اللَّه يتجلَّى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأَمريكيِّين، ترجمة: عبد المجيد سرحان الدمرداش، علَّق عليه: محمَّد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت.

٤٤- متن درَّة البيان في أصول الإِيمان، محمَّد يسري، تح: جماعة من العلماء، دار اليسر، القاهرة، مصر، ط٤، ١٤٢٩هـ.

٤٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، أَبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تقديم: محسن الأَمين العاملي، مؤسَّسة الأَعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٤٦- معاني الأخبار، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمِّي الصدوق (ت٣٨١ هـ)، تصحيح: علي أكبر غفاري، انتشارات إسلامي، قم.

٤٧- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

٤٨- الملل والنحل، أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨ هـ)، تح: أمير علي مهنَّا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٤٩- موسوعة بيان الإِسلام، الردّ على الافتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء، دار النهضة، مصر، ط١، ٢٠١١م.

٥٠- ميثاق الإِيمان، عيسى بن عبد اللَّه السعدي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٤هـ.

٥١- الميزان في تفسير القرآن، محمَّد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ط، ١٤١٧هـ.

٥٢- نهج البلاغة، من مختار الشريف الرضيّ من كلام سيِّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام، تح: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٥٣- وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنيَّة والأحوال الشخصيَّة، محمَّد مصطفى الزحيلي، مكتبة دار البيان، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٢ هـ.

٥٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمَّد بن الحسن الحرِّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تح: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د.ط، د.ت.

المجلات والدَّوريات:

١- الإيمان والإسلام في كلام أَهل البيت عليهم السلام ومتكلِّمي الشيعة، رسول جعفريان، مجلة تراثنا، العدد ٨١، ١٤٢٦هـ.

٢- الزعم أنَّ إيمان المسلم مرض نفسي وسلوك يدفع نحو العنف والتعصُّب، مقال نشر في صحيفة الحياة، صالح بشير، لندن، عدد ١٧ سبتمبر ١٩٩٥م.